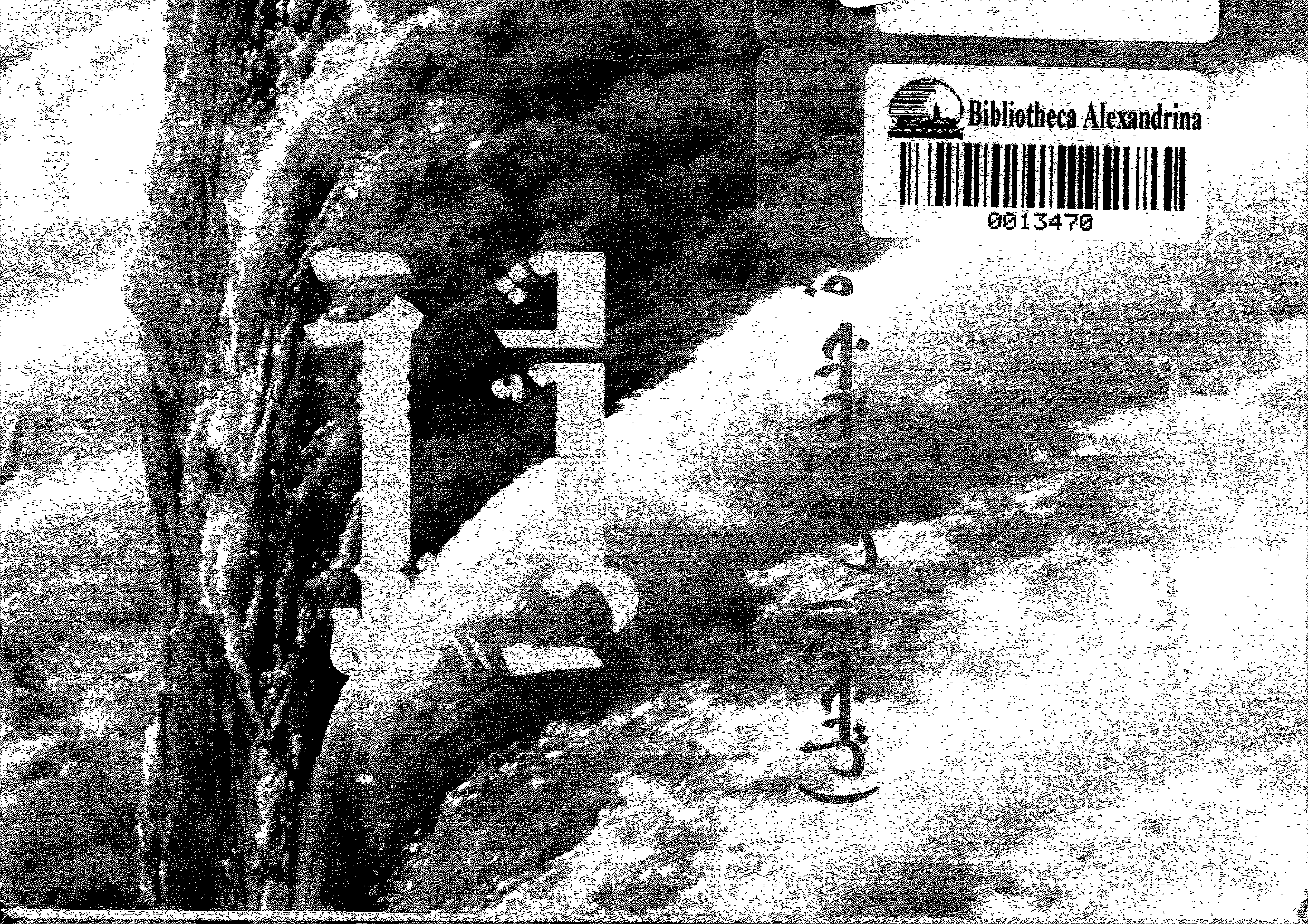


المسيح ثائراً

قراءة جديدة فى الإنجيل

دكتور القس
صموئيل حبيب



طبعة أولى

المسيح ثائراً

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١ / ٦٤٥ ط١ / ٢ - ٢ / ٩٥
رقم الإيداع بدار الكتاب :٣٥٣٣ / ٩٥
I . S . B . N 977 - 213 - 271 - 0
جمع وطبع بسبوبرس

مقدمة الدار

لقد كتب كثيراً حول شخص المسيح، وقد تنوعت هذه الكتابات، فهناك من اهتم بسيرته الذاتية وبمعجزاته، وهناك من درس لاهوته وعقيدته، وهناك من حاول أن يقدم تصوراً لفلسفته وأسلوبه فى الحياة. ومع قيمة كل هذه المحاولات إلا أن هذه الدراسة تأتى بشىء جديد ومختلف.

فلقد حاول المؤلف وهو أحد رواد الفكر اللاهوتى العربى المعاصر أن يدرس بعناية الظروف التى نشأ فيها المسيح، وكيف أن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى عصره كان لها دور هام فى صياغة تفكيره وأسلوبه.

ومن خلال دراسة تحليلية للمفاهيم والقيم التى أرساها المسيح يحاول المؤلف أن يقدم لنا رؤية جديدة للحياة والإيمان.

إنه يدعونا للتلاحم مع الواقع، والانفصال عن الوهم والخرافة إلى الفاعلية والتواجد.

إن دار الثقافة يسعدها أن تقدم هذا النموذج من التفكير ليكون حافزاً لنا لإعادة التفكير مرة أخرى فى شخص المسيح وقراءة الإنجيل بطريقة واقعية.

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تمهيد

كتب كثيرون عن السيد المسيح. فالمجلدات التى تدرس شخص المسيح في اللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية، إلي غير ذلك من لغات العالم، مجلدات لا تحصى ولا تعد. فشخصية السيد المسيح، أبهرت العالم أجمع، على مدى ألفى عام.

وتنوعت الكتابات، منها ما هو تاريخى، يتضمن ترجمة حياة شخص يسوع المسيح، ومنها ما هو لاهوتى، وفكرى، يتضمن أسلوب السيد المسيح، وأقواله وأعماله. وهناك كتب متخصصة في فروع معينة من حياة السيد المسيح، منها: أقوال المسيح، معجزات المسيح، أمثال المسيح، إلى غير ذلك. وهناك كتب عديدة فى أسبوع الآلام، منها ما يصف يوم الجمعة الذى صلب فيه المسيح، ومنها ما يتحدث عن الصليب، من جوانب عديدة، ومنها ما يتحدث عن القيامة... إلخ.

كما أن هناك كتباً تناولت شخص المسيح. فكتب لاهوت عديدة تتحدث عن المسيح: من هو؟ ما معنى ابن الإنسان؟ ابن الله؟ ومجلدات عديدة تصف عقيدة الكريستولوجى CHRISTOLOGY أي دراسة شخص المسيح وحياته، من منطلقات لاهوتية متنوعة.

ولا شك أن بعض الكتب مجّدت شخص المسيح، إلا أن هناك كتباً انتقدته. فمن هذه الكتب، من أراد أن يحلل شخص المسيح نفسياً، ومنها من تحدث عن صحة ما جاء في الإنجيل عنه، إلى غير ذلك. فالكاتبون والمحللون ناقشوا شخص المسيح وحياته وتعاليمه بحرية. فليس، على وجه

أن يحققه في حياته ورسالته. مما سيساعدنا حتماً، لإدراك دورنا في الحياة.

ونحن في دراستنا، لشخصية المسيح، والقضايا الفكرية والعملية التي تعرض لها، سنري من خلالها ما أراد المسيح أن يعمله. هذه الدراسة، تدفعنا، أن نقرأ تاريخ السيد المسيح، في الأناجيل الأربعة. ومن خلال هذه القراءة، نكتشف دوره ورسالته، ونتعرف علي فكره وقيمه.

نحن نعلم أن الأناجيل الأربعة لم تسجل كل شيء. فكما ذكر يوحنا الإنجيلي (٢١:٢٥) "وأشياء أخر كثيرة، صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة".

ولكننا نجد في الأناجيل الأربعة سجل يكفينا، يكشف لنا شخصية المسيح، والأهداف التي كان يصبو إليها، والرسالة التي أعلنها وقدمها للبشرية.

وقد أردت هنا الاستناد إلي الأناجيل فقط، فيما عدا مرات قليلة، ليكون التركيز الكامل في الدراسة علي حياة وأعمال وأقوال السيد المسيح. فحياته -رغم قِلّة ما كتب عنها- ثروة فكرية ضخمة.

وقد أردت أن أضع عنواناً لهذه الدراسة **"قراءة جديدة في الإنجيل"**. فنحن نتعرض -في هذه الدراسة- لتحليلات دراسية للمواقف، والأعمال، والأقوال، **نكتشف من خلالها مفاهيم، وتفاسير وأساليب فكرية، تختلف بعض الشيء عما درجنا علي فهمه، في كلمات الإنجيل. فقد امتلأت الساحة الكنسية، بمفاهيم سطحية وهامشية وأحياناً خيالية. بل أخطر من**

ذلك، فإن بعض ما كتب من شروحات للأناجيل، أبعد ما يكون عن المعاني والأهداف الحقيقية لها. ونحن نحاول هنا أن ننقي التفاسير والشروحات، ولنبقي علي ونوضح المعاني التي نقدر أن نقول إنها هي المقصودة في الوحي المقدس.

وإنني أرجو أن يجد القاريء متعة، وهو يدرس هذا الكتاب، كما تخلق فيه الدراسة صراعاً فكرياً، ليري من خلال صفحات الكتاب ما يدفعه إلي زيادة البحث والدراسة.

المؤلف

مقدمة

المجتمع الذى عاش فيه المسيح

لماذا ندرس المجتمع الذى عاش فيه المسيح ؟

عندما ندرس أقوال وأعمال السيد المسيح، لابد لنا من دراسة المجتمع الذي عاش فيه. فالأقوال والأعمال مرتبطة ارتباطاً أصيلاً بالشعب الذي عاش المسيح فيما بينه. فالواضح أن حياة المسيح، لم تكن مجرد مُثُل أطلقت دون مطابقة مع المجتمع، ولا هي فلسفة تنظير أعلنها المسيح في عزلة عن الناس. بل إن أقوال المسيح وأعماله، كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالناس، وبحياتهم. ومن خلال قراءتنا للإنجيل، نري أن كل كلام المسيح، مرتبط إما بحوارات مع الناس، أو متابعة لأحداث تتم من حوله.

وحياة الناس، في المجتمع المعاصر للسيد المسيح، مرتبطة بالحضارات القائمة، والثقافات المتاحة، والخلفية الفكرية عند الناس، والمفاهيم الشائعة عندهم، والعادات والتقاليد المتعارف عليها. يضاف إلي ذلك، أن مجتمع المسيح، كان مجتمعاً دينياً. فلابد من التعرف على الخلفية الدينية اليهودية، التى كانت سائدة فى وقت مجئ السيد.

فلو عرفنا تلك الخلفية الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاش المسيح في عصرها، لأدركنا كيف استقبل الناس المعاني التى تحدث عنها السيد المسيح. فالتفسير الحقيقي لأقوال السيد المسيح وأعماله، هو مطابقة هذه الأقوال والأعمال مع فهم الناس لها، في مجتمع المسيح. ومن خلال هذه المطابقة، نكتشف ما أراد المسيح فعلاً أن يتحدث عنه.

نستمع إلى أحاديث ومواعظ عديدة، تعطي معاني متنوعة لأقوال السيد المسيح وأعماله. والوعظ علم، يعطي الحق للواعظ أن يربط الأفكار والتعاليم، ويطابقها بالعصر. فمرات قد يخرج الواعظ عن المضمون الحقيقي للآيات، إلى تأمل روحى. فللوعظ حرية متاحة، أكثر من التفسير والشرح. ونحن، فى هذا الكتاب، نرتبط بالشرح والتفسير.

أولاً

فلسطين فى عصر السيد المسيح

مجتمع اليهود شمل الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب، تتوسطهما السامرة وبيرية. عاش المسيح كل حياته في هذه المنطقة. ولابد لنا أن نتعرف عليها، لكى ندرك معنى أقوال وأعمال المسيح التي تمت فيها، ومع شعبها.

عاش المسيح طفولته في الجليل، فالناصرة قرية في الجليل، التى تقع شمالاً. ومارس المسيح خدمته سواء في الجليل أو فى اليهودية - جنوباً، أو في السامرة. ونحن نحاول - باختصار - أن ندرس كل مقاطعة من هذه المقاطعات، لكي نتعرف قليلاً على كل واحدة منها.

الجليل :

أرض خصبة، تشتهر بالزراعة، خاصة زراعة الفواكه وتعرف بإنتاج النبيذ[١]

---

(١) Edersheim Sketches ., P. 35

والجليل أرض خصبة[٢] ومنطقة غنية. والجليليون كان لهم تجارة مع العرب واليونانيين والسوريين والفينيقيين[٣].

قانا الجليل، إحدى مدن الجليل، وتقع شمال شرقى الناصرة، على مسافة مسيرة ثلاث ساعات[٤]. هناك ولد نثنائيل (يو٢١: ٢)، وهناك أجرى المسيح معجزته الأولى، بتحويل الماء إلى خمر (يو٢: ١-١١).

في الجليل مدن أممية يونانية، سكن فيها يونانيون. تكلم الناس -فى الجليل- العبرية، والأرامية، واليونانية. الجليليون أسخياء، كرماء، وطنيون. وهم مكافحون، يعملون ويجاهدون.[٥]

والعبادة في الجليل تمت من خلال مجامع، يقودها في الأغلب كتبة. التدين في الجليل كان يرتبط بالقيم السلوكية أكثر من الطقوس.[٦]

كان الجليل أكثر انفتاحاً من اليهودية. استعملت في الجليل العملات اليهودية واليونانية. وكان الجليليون أكثر تحرراً، وأسعد حالاً.

اليهودية :

اليهودية فى أقصى الجنوب. وفيها يقع مجمع السنهدريم الأعلى، وهيكل سليمان مبنى على رابية صهيون. أورشليم تقع في اليهودية.

(٢) Pentcost. The Words and Works of Jesus Christ ., P. 516

(٣) المرجع السابق. ص٥١٧

(٤) Edersheim. OP. Cit, P.37

(٥) المرجع السابق ص ٤٠.

(٦) Pentcost. OP. Cit

ولليهودية ذكريات تاريخية.

أورشليم موقع سياحى ضخم، كان به مسرح يونانى. فى أورشليم جواسيس يعملون لصالح الرومان، وهناك الشرطة اليهودية[٧]. الناس فى اليهودية يتكلمون العبرية والأرامية واليونانية. وفى اليهودية العالم اليهودى القديم المحافظ، لطقوسه ومراسيمه التقليدية التى عاشت سنوات عديدة.

عرفت اليهودية بأنها الأكثر تديناً، بسبب وجود الهيكل. والممارسات الدينية فيها. وبسبب الهيكل، تواجد الكهنة، وكان عددهم -فى أيام المسيح- يصل إلى عشرين ألف كاهن.

وفى عصر المسيح، كانت الإسكندرية، المدينة التى بناها الإسكندر الأكبر، مركزاً لليهودية الغربية. التقى فى الإسكندرية يهود من أوروبا وآسيا وأفريقيا[٨].

السامرة:

السامريون -أصلاً- يهود من الدولة الشمالية. تبعوا الهيكل الذى بناه يشوع على جبل جرزيم. منذ أن رفض السامريون اتِّباع هيكل أورشليم، وصارت هناك عداوة حادة بين السامريين واليهود. وصفهم اليهود أنهم ليسوا شعباً، وليسوا دولة[٩]. وكان اليهود، وهم ينتقلون من الشمال إلى

---

(٧) المرجع السابق. ص١٢٩

(٨) المرجع السابق. ص٥٩

(٩) المرجع السابق. ص٥٢٦

الجنوب، أو العكس، لا يمرون بالسامرة، بل يدورون حولها من جهة الشرق. وهنا كانت المشكلة عندما اجتاز المسيح فى ذلك الطريق، الذى يمر بالسامرة، ولم يتفاداها.

وهذا يرينا سر المشكلات التى كانت بين اليهود والسامريين. وكان اهتمام المسيح بالسامريين، واهتمامه باليهود، مثار قلق وتشدد من جانب اليهود.

وكان حديث المسيح مع السامرية، مشكلة، ليس فقط لأنها امرأة، بل لأنها -أيضاً- سامرية. والمثل الذى قاله المسيح عن السامرى الصالح، كان -أيضاً- مثيراً بالنسبة لليهود.

الناصرة:

كانت الناصرة وهى تقع جنوبى الجليل بقعة جميلة، فى موقع جميل فى الجليل. إلا أن الناصرة انطبق عليها الرأى العام لليهود عن الجليل. فكان المفهوم أن الشمال أقل تديناً من الجنوب، وأن الدين الحقيقى، والتقوى الحقيقية هى فى اليهودية. لذلك كانت الصورة عن المسيح أنه من الناصرة، "أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح" (يو١:٤٦) (١٠).

الشعب الفلسطيني اليهودي:

كان المعروف عن شعب فلسطين، أنه يتقن التجارة. فالمنطقة متوسطة بين الدول، وتقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط. وكانت تنتشر صناعات

(١٠) المرجع السابق. ص٥١٢

منزلية كالغزل والنسيج اليدوى.

كان الفلسطينى معروفاً بالكرم، بيته مفتوح للغرباء[11]. وكانت العادة أن يسير المضيف مع الغرباء عند خروجهم، يشيعهم إلى خارج المدينة (راجع أعمال الرسل٢١:٥). فصفة الكرم، من الصفات التى تحدثت عنها الشريعة اليهودية، هذا إلى جانب أنها تتصف بها شعوب المنطقة.

كانت البيوت تبنى من الحجارة أو من الطوب، يختلف فى ذلك بيوت الأغنياء عن الفقراء. وكانت الملابس عادة من الصوف أو الكتان، حيث كانت صناعة الكتان فاخرة فى تلك الأيام. وكانت تشتهر الملابس باللون الأبيض أو البنى[12].

وكانت المدارس تهتم بتعليم الشريعة، حيث يبدأ ذلك من عمر السادسة. فكان النظام المتبع أن الطفل من عمر ٦-١٠ يدرس شريعة العهد القديم، ومن عمر ١٠-١٥ يدرس المشنا والتقليد[13].

معنى ذلك، أن التعليم -أساساً- تعليم دينى. يدرس الطفل إلى جانب الدين الدراسات الأخرى.

وكان كل طفل إلى جانب تعلمه الديني، يتعلم حرفة ما. وكان يمارسها من الطفولة. والحرف تأتى عادة من أنواع الحرف المتداولة فى المنطقة، والتى تحتاج إليها البيئة.

---

(١١) Edersheim op. cit p. 47

(١٢) Pentcost . op. cit. P.P. 564 , 565

(١٣) المرجع السابق. ص٥٦٢

نشأة يسوع الطفل :

من المعروف فى الناصرة، أن المنزل الذى سكن فيه يسوع طفلاً كان إما من حجر أو طوب، له باب واحد، ونوافذ قليلة. والمعروف فى البيوت فى تلك الأيام تواجد مصاطب من الطوب، أو من الطمى للنوم، مع مصطبة خارج البيت لاستقبال الضيوف(١٤) .

درس يسوع الطفل فى مدرسة الناصرة. ولا شك أنه درس الشريعة وأصول الإيمان، بالنظام المتبع فى المجتمع اليهودى. تحدث يسوع العبرية والأرامية واليونانية، وهى اللغات التى كانت متداولة فى الجليل واليهودية فى ذلك العصر، ويغلب على الظن أنه أتقنها كلها(١٥) .

ولما كان كل طفل يتعلم حرفة ما، فقد اشتغل يسوع مع يوسف رجل مريم، فى حرفة النجارة. ولما كان يسوع يعمل معه، فهذا سمح له، أن يقوم بالأعمال التى تقع خارج دكانه. أى أنه كان يقوم -فى الأغلب- بمهام النجارة، فى البيوت. وهذا أعطاه فرصة، أن يرى الناس، وأن يحتك بهم فى حياتهم اليومية، وأن يشعر بمشكلاتهم وحاجاتهم، وأن يراقب المجتمع بكل ما فيه.

وكالأطفال فى بلده، كان يسير عارى الرأس، قد يضع طاقية على رأسه بسبب الشمس فى الظهيرة. وكان يلبس الجلباب مع حزام فى الوسط، متى

---

(١٤) المرجع السابق. ص٥٦١

(١٥) المرجع السابق. ص٥٦٢

لزم[١٦] . وعندما يأكل، كان يجلس على الأرض، وأمامه مائدة منخفضة كعادة الناس فى عصره.

ولا شك أن يسوع واظب على حضور مجمع الناصرة. وقد كانت الشريعة تقرأ فى المجمع أيام الاثنين والخميس والسبت من كل أسبوع. وكانت المجامع تسمح لأى شخص من الحاضرين أن يقود تلاوة الشريعة، ما لم يتواجد كاهن أو لاوى فى المجمع[١٧] .

---

(١٦) المرجع السابق. ص٥٦٤

(١٧) المرجع السابق. ص٥٦٣

ثانياً

الوضع السياسي في إسرائيل في عهد المسيح

فلسطين فى عصر السيد المسيح، كانت مستقلة اسمياً، ولكنها فعلياً كانت تحت السيطرة الرومانية[١٨]. وكان مفهوم إسرائيل أن الدولة ثيوقراطية، تحت حكم الله. لذلك كان الاستعمار الرومانى له معنى فى غاية السوء بالنسبة للشعب. فالاستعمار حل محل الله فى نظرهم.

وكان لممثل قيصر روما، دور رئيسى في السيطرة علي فلسطين. وإقامة ممثل روما، في نفس فلسطين، كان إعلاناً لسيادة روما على الشعب[١٩] .

اهتمت الدولة الرومانية بالسيطرة على الشعب، من خلال جمع الجزية. دفع الناس الجزية، سواء قبلوها أو رفضوها. ونحن نذكر أن الجزية طلبت من السيد المسيح، وقام المسيح بسدادها (مت١٧:٢٤-٢٧). وبذلك زادت الضرائب المطلوبة من الشعب: ضريبة الدولة الرومانية، إلى جانب ضريبة الهيكل، وضريبة عشور الحقل[٢٠]. وبذلك صارت الالتزامات على الشعب اليهودى فوق طاقة الشعب، مما جعل الشعب يعانى كثيراً.

---

(١٨) Edersheim op . cit, p.10

(١٩) Guthrie.Jesus the Messian p. 37

(٢٠) Edersheim , op. cit , pp. 53 , 54

تنوع حكام الرومان، فمنهم من كان قاسياً على الشعب، ومنهم من كان أقل قسوة. منهم من أحب المعمار، وعاون على التعمير، وتشغيل العمالة اليهودية، ومنهم من أهمل كل شيء.

بدأ الاستعمار الرومانى عام ٦٣م، عندما جعلت روما كل فلسطين جزءاً من ولاية سوريا[٢١]. ولهذا صدر القرار بالاحصائية فى عهد كيرينيوس عندما كان والياً لسوريا بين عامي٦-٩م[٢٢]. وجاء أخيراً بيلاطس البنطى (٢٦-٣٦م) الذى أساء لليهود، وهو الذي حكم علي المسيح بالموت.

كانت الثقافة اليونانية هي ثقافة الدولة الرومانية. فقد انتشرت الحضارة اليونانية والرومانية في فلسطين في تلك الأيام، واختلطت بالحضارة اليهودية.

وقد كان واضحاً، أن الشعب لم يكن راضياً عن تواجد الرومان وسيطرتهم، لكنهم قبلوا ذلك صاغرين. وقد رأي اليهود أن تواجد الرومان دليل على عدم رضا الله عليهم. وكانوا يتطلعون إلي وقف مجيء المسيا، ليخلصهم من هذا السلطان الغاشم.

لكن وجود الرومان تسبب فى مشكلات عديدة. فمن الشعب من خدموا الرومان. فجباة الضرائب، كانوا يهوداً. استغلهم الرومان لابتزاز أموال الشعب. ولعل صورة زكا، نموذج واضح لهذا الاستغلال.

---

(٢١) Poctzal . The world that shaped the new testament P.15

(٢٢) Guthrie . op . cit, p . 18

كما أن حزباً بأكمله -كحزب الصدوقيين- وهو حزب سياسى هام، لعب دوراً خطيراً فى التصالح أو التحالف مع الرومان، لتحقيق مصالح الطرفين.

والذين تحالفوا مع الرومان، وخدموهم، نظر إليهم اليهود نظرة احتقار. فهؤلاء خونة العهد. خدموا العدو والمستعمر، لصالح ذواتهم، دون اعتبار لدولتهم. لذا لم يكن للعشارين مكان محترم، رغم أنهم اغتنوا من وراء ابتزاز أموال الشعب. وكان الشعب يضعهم في مصاف الخطاة.

مجتمع اليهود دين ودولة

خلط اليهود بين الدين والدولة. فالدولة دولة دينية، واليهودية ديانتها.والتشريع يربط بين الدين والدولة. فالشريعة، تتضمن القوانين المدنية والجنائية. إلا أن الشريعة أضيفت إليها العقيدة اليهودية، والطقوس والصلوات، وقيم خلقية سلوكية، وقيم صحية، إلى غير ذلك. وإنه لمن الخطورة بمكان أن تتحول القيم الإنسانية إلي قوانين. ومن الخطورة أيضاً أن بعض مبادىء الصحة تصبح قوانين. وأخطر من ذلك أن القوانين تعتبر قوانين دينية ومدنية في ذات الوقت.

لم تكن هذه مشكلة الديانة اليهودية فحسب، بل هي مشكلة كل الديانات. فكل دين ظهر على وجه الأرض، حاول أن يربط بين الدين والدولة. فالربط بينهما، وسيلة لطاعة الله -في نظرهم- من جانب، وهو أيضاً، وسيلة لحفظ الدين، وامتداده، وانتشاره. لذا، حرص بعض رجال الدين بل وبعض العلمانيين فى كل الأديان في وقت ما من تاريخهم - لربط بين الدين والدولة، فتكون الدولة ثيوقراطية. ولهذا مشكلات عديدة، كما

ظهر من التجارب المتنوعة.

فالخلط بين الدولة والدين محنة كبرى. وقد اجتازت المسيحية هذه المحنة في القرون الوسطى، عندما حكم الدين الدولة، وعندما حكم رجال الدين الشعب. فالخلط بين الاثنين له مساوىء عديدة، تضر بالدين، كما تضر بالدولة.

ومشكلة الخلط بين الدين والدولة، هي مشكلة من نوع واحد مهما اختلف الدين. فتفسير الأحداث، والخلط بينها، والمشكلات التي يعاني منها الدين، أو المشكلات التي تتسبب لدولة بسبب الخلط بين الدين والدولة، كلها من نوع واحد، لأي دين كان. ولذا كان لابد لنا أن نستعرض الموقف في حالة خلط الدين والدولة، مما يعطينا صورة عن الوضع عند اليهود، في عصر المسيح، أو الوضع اليوم، في أي دولة معاصرة، تواجه نفس المشكلة.

فالخلط بين الدين والدولة يحول نظم العبادة وطقوسها وفرائضها إلي قوانين، والدين لا يجوز أن يكون قوانين صارمة، فالدين اختيار لا إرغام فيه. فالصوم مثلاً، لا يجوز أن يكون قانوناً. فالإنسان يصوم برغبته، ولا يجوز أن يُرغم علي الصوم. فإن صام مرغماً، ما كانت هذه عبادة. فالصوم رغبة إنسانية.

وتزيد المشكلة، متى اشتملت القوانين الدينية على عقوبات، في الدولة الدينية. فالذي لا يصوم مثلاً، يُحكم عليه بحكم محكمة. وهذا أمر خطير جداً. فالدين علاقة بين الإنسان وربه. والذي يمارس العبادة، ونظمها، يخضع لرضا ربه عليه. ولو تحول الدين إلى قوانين، لها عقوبات، يكون الدين قد

فقد أهميته كدين.

يضاف إلى ذلك، أن الدين عندما يرتبط بالدولة، فى دولة دينية، يصبح رجل الدين سلطة دكتاتورية علي الدولة، وبالتالي على الشعب. فالخطورة أن رجل الدين يتحدث باسم الله. ويخشي البسطاء، رفض دعوته. وهنا يتحول رجل الدين من كونه مشيراً، يعاون الناس علي حياة كريمة، ويدعوهم إلي الإيمان والبر والتقوي، إلى رجل حكم، يحكم عليهم بالقانون الرادع. فيصبح الدين أحكاماً وجنايات وجرائم، وهذا يخالف الدين كل المخالفة.

وعندما يحدث صدام بين دولتين، إحداهما دولة دينية، فيكون التفسير دائماً، أن الدولة من دين معين، تحارب الدين الآخر. وبذلك يصبح مفهوم العلاقات بين الدول، مفهوم علاقة دينية. وهذا يقفل أبواب الحوار والتفاهم بين الأطراف المعنية.

وفي الدولة الدينية، يصبح رجل الدين، موظفاً بالدولة. وهذه خطورة أخرى. فالدين هنا يصبح وسيلة في يد السياسة والساسة. ويمكن للدولة أن تحكم علي رجل الدين، أو أن تسيرهّ بالكيفية التي يريدها.

كما أن تحويل الإيمان إلى إفتاءات، وقرارات تحليل وتحريم، يضر بالدين. فالإيمان، عندما يتحول إلي قرارات حرفية دينية، تعبر عما هو مسموح به، وما هو مرفوض، ما هو حلال، وما هو حرام، فهذا اختزال للإيمان إلى قرارات حرفية غير مناسبة. فالإيمان، أساساً، هو علاقة بين الإنسان وربه، تنشأ عنها حرية الفرد، فى أن يختار فى سلوكه الشخصى ما يرضى ربه.

وإرغام الشعب، علي الخضوع لشرع الله، مشكلة أخري. فمن ذا الذي يجرؤ أن يدّعي أن لديه وحده شرع الله. فالذي يظن أنه يستحوز علي الله، يخطىء إلى الله نفسه. فالله ملك للجميع. ولا يجوز لدين ما، أيا كان، أن يدّعى بأن الله ملك له وحده دون غيره.

كانت هذه مشكلة اليهود، عندما فهموا خطأ، أنهم "شعب الله المختار"، الشعب الوحيد، الذي الله هو إلهه، وأن الله ليس إلهاً لكل الأمم الأخري. فالله خالق البشرية. كيف يمكن أن يفضله أحد عن البشرية كلها. وكل الأمم والممالك والدول خاضعة له. إنه إله الخليقة، إله المسكونة، وكل ما فيها، إله التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله.

نعيش هذه المشكلة، حتي عصرنا الحاضر، في الدول التي تريد أن تكون ثيوقراطية، أو التي تتمسك بدين شرعي لها. فالمشكلات التي يعانون منها، والمشكلات التي يعاني الدين منها، مشكلات لا حل لها.

يضاف إلي ذلك أن الدولة تتكون من أناس، لهم أخطاؤهم. فالبشر بشر. وليسوا معصومين. فلو حكم البشر باسم الله، لنسبوا أخطاءهم إلي الله، أو إلي الدين. وفي الحالتين، إساءة لله، وإساءة للدين.

فلابد من فصل الدين عن سلطة الحكام. وبذلك يستمر الدين نظيفاً من أخطاء البشر، يحكم عليهم، دون أن يُلصقوا به أية اتهامات أو مشكلات.

ومن ذا الذي يجرؤ أن يحكم باسم الله؟! من ذا الذي يدّعي أن ما يقوله هو أمر الله؟ كيف يجرؤ حاكم -أيا كان- أن يعطي قوانين أو قرارات، أو

تعاليم أو توصيات، ثم يقول إنها من الله؟ فلو حدث، لكان يدّعى أنه هو الله.

لذا، فإن فصل الدين عن الدولة، كرامة للدين، وحماية له. وبذلك تكون العلاقة الدينية، بين المخلوق والخالق، علاقة مباشرةً، حرّة. فللمخلوق أن يختار ما يريد أن ينفذه. والأشرف، أن يتحرك الإنسان برضاه. فمتى تحول الدين إلى قانون، يُرغم الناس عليه، ظهر الزيف الديني بأسوأ صوره. فتجد أن الكثيرين يتظاهرون بالصوم، في موعد الصوم، وهم غير صائمين. وتجد كثيرين يتظاهرون بالتدين، وهم أبعد ما يكون عن الدين.

ولو عدنا إلى أقوال السيد المسيح عن الصلاة والصدقة والصوم (مت٦)، نجد أنه يلوم أولئك الذين يريدون أن "يظهروا للناس" مصلين، أو صائمين، أو متصدقين. فالمظهرية الكاذبة هي هدفهم الأول. وقد كان المسيح غير راض عن هذا. فالعبادة هدف في حد ذاتها، ولا يجوز أن تتحول إلي وسيلة مظهرية لتمجيد الإنسان.

يضاف إلى ذلك، أن شريعة الله متدرجة. فالشريعة التي أعطيت لإبراهيم، تدرجت في سلم الرقي عندما سلمت لموسى، ثم تدرجت عندما سلمت لداود، إلى غير ذلك. والتدرج هنا، يرتبط بظروف الشعب، ومفاهيمه. فكلما ارتقت الثقافة، والحضارة، تعدل مفهوم معاملة الله للشعب. فالله يتحدث إلى الناس من خلال أساليبهم، ويقدم لهم الوصايا، مما يقدرون على إدراكه وفهمه. وتدرج الشريعة هنا، يرتبط بقدرات الناس على التجاوب، والاستيعاب، كل عصر حسب ظروف الناس وإمكاناتهم.

ونحن نشاهد تطور الشريعة، بين ما عرفه الشعب قديماً، فى عصر موسى، وما نادى به الأنبياء. ففى عصر موسى، كان شعب الله المختار هو المركز. وما فهمه الشعب أن الله هو إله هذا الشعب وحده، دون سواه. لكن الأنبياء، ومنهم عاموس، أرادوا أن يوضحوا للشعب، أن الله قادر أن يصنع من الحجارة أبناء لإبراهيم وأن الله هو إله الخليقة كلها.

وحاول السيد المسيح، فيما بعد أن يوضح أن الله يشرق شمسه على الأبرار والظالمين، فالله إله الجميع، الأبرار والأشرار، وهو إله لكل الشعوب. ونظر السيد المسيح إلى الشريعة الواردة فى العهد القديم، وطورها، لإكمالها. وسوف نعود إلى هذه القضية فى الدراسة القادمة في موضع آخر من هذا الكتاب.

لذلك، فإن تقييد الدين، بتحويل الشريعة الإلهية، فى عصر ما، إلى قوانين جامدة، يجعل القوانين هدفاً، ويجمد الشريعة من أنها تتطور مع العصر والزمن، وترتقى مع رقى الإنسان وحضارته. ولما كان تقدم الإنسان ثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، هو هدف الله للإنسان، فالشريعة هنا تتطور مع ظروف الحياة. ولا يجوز تقييد الشريعة، بتحويلها إلى قوانين جامدة لا حياة فيها ولا حركة.

نخلص من هذا أنه ليس من مصلحة الدين فى شيء، أن يتحول إلى شريعة دينية أو قوانين دولة. كما أنه ليس من مصلحة الوطن أن يرتبط بدين. فالدين مسئول أن يؤثر على السياسة، وعلي الدولة، دون أن يصبح الدين سياسة، ودون أن يصبح قادة الدين سياسيين. وهدف تأثير الدين على

السياسة، هو تحقيق السلام والعدل والحق فى المجتمع.

لابد من تَرَفُّع الدين فوق الدولة. فربط الدين بالدولة، إقلال للدين، وتصغير من دوره، وتهميش له، وإساءة إلى مكانته. الدين يرتبط بالعلاقة بالخالق، وبالقيم السلوكية التي تربط علاقة الإنسان بنفسه أو بالآخرين، أو علاقة المجتمع بنفسه أو بالمجتمعات الأخرى. فلابد من تحرير الدين من السياسة والسياسات، ليتمكن الدين من أن يؤدى دوره كاملاً من أجل البشرية.

استعرضنا بإسهاب مشكلة ربط الدين والدولة. من خلال هذه الدراسة، يمكننا أن نكتشف موقف مجتمع اليهود -فى عهد المسيح- عندما ربط بين الدين والدولة، كما يمكننا أن نكتشف أعماق المشكلات التي تعرض لها مجتمع اليهود.

ثالثاً

الأحزاب الدينية والسياسية في عصر المسيح

الفترة التي عاش فيها المسيح، في المجتمع اليهودي، أطلق عليها فيما بعد "فترة مابين العهدين". أي أنها الفترة، بين آخر الأنبياء في العهد القديم، ومجيء السيد المسيح. ولهذه الفترة مواصفات خاصة، سنحاول أن نوضحها من خلال الدراسة التالية.

وجدت أحزاب دينية، وفي نفس الوقت -في الغالب- سياسية. فالخلط بين الدين والدولة، جعل للأحزاب ارتباطاً بين السياسة والحياة المدنية والدينية. ونحن نحاول أن ندرس الأحزاب الرئيسية التي كانت متواجدة في فترة ما بين العهدين. ومن خلال هذه الدراسة، سنكتشف أن المسيح كان في مواجهة صارخة مع هذه الأحزاب.

الفريسيون :

ظهرت حركة "الحسيديون" Hasidim في وقت غير معروف. وهم جماعة كان لهم اهتمام ديني غير سياسي. فصلوا أنفسهم عن الاهتمامات السياسية[٢٣] . ويرجع البعض ظهورها في القرن الثاني قبل الميلاد. ظهرت

---

(٢٣) pentcost . op. cit ., p . 543

حركة الفريسيين من حركة الحسيديين، التي تعتبر إمتداداً لها [٢٤] .

إلا أن الفريسيين، فى وضعهم أيام المسيح، كانوا ينسبون تاريخهم إلى أيام عزرا، حيث دخلوا فى عهد مع يهوه، وفصلوا أنفسهم عن شر الأمم (عزرا٦:٢١و ٩:١و ١٠:١١ و نحميا٩:٢و ٢٩:١٠).- وكانت أول إشارة واضحة عن الفريسيين، فى عهد يوحنا هركانوس John Hyrcanus رابع المكابيين (١٣٥-١٠٥ ق.م.). رغم أن المؤرخ المشهور يوسفيوس، يشير إليهم، أ نهم ظهروا قبل ذلك، بقرنين من الزمان[٢٥]. وقد بدأ الفريسيون كحركة، ثم تحولوا إلى حزب، ثم صاروا مدرسة لاهوتية[٢٦].

كلمة "فريسي"، فى العبرانية تعنى "المعتزلة". وهي تميز مجموعة من الناس عزلوا أنفسهم عن غير المتدينين[٢٧]. غالبية الفريسيين تمثل البورجوازية اليهودية.[٢٨] فهم طبقة متوسطة فى الغالب. كان منهم قليل من الكهنة واللاويين. لكن الغالبية كانوا علمانيين، فالكهنة واللاويون من الفريسيين كانوا قلة قليلة جداً.

كان للفريسيين مجتمعات مغلقة. العضو الذى ينضم إليهم، ينضم إليهم بصعوبة، وبعد اختبارات. والعضو فى هذه الحالة، يكون ملتزماً بنظم تفصيلية دقيقة جداً[٢٩] .

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) Edersheim. op. cit. p.230

(٢٦) المرجع السابق. ص٢٤٤

(٢٧) المرجع السابق. ص٥٤٣

(٢٨) المرجع السابق. ص٥٤٥

(٢٩) المرجع السابق. ص٥٤٥، ٥٤٦

كان الفريسيون فى الأغلب رجال أعمال، وتجار. تخاصموا مع الرومان وتصالحوا معهم حسب الظروف، وحاجة المصالح المشتركة. وكان للفريسيين شعبية عارمة[٣٠]. هاجموا الهلينية. وشعبيتهم أعطتهم القوة والسلطة السياسية عندما طلبوها. تراجع الصدوقيون أحياناً أمامهم بسبب شعبيتهم، رغم أن الصدوقيين كانوا أصحاب مركز وسلطة.

آمن الفريسيون بالملائكة، والأرواح، وخلود النفس، والعقاب الأبدى، والقيامة من الأموات. اهتموا بالممارسات الطقسية. صاموا (مر٢:١٨)، وعشّروا النعنع والشبث والكمون (لو١١:٤٢)، كما قدسوا يوم السبت حرفياً (لو١١:٤٣).

اهتموا بشريعة موسى، والعهد القديم. وأضافوا إلى ذلك شريعة شفوية، استمرت شفوية، حتى كتبت عام ٢٠٠م فى ثمانين مجلداً، وسميت "المشنا". وهذا يرينا ضخامة الشريعة الشفوية، التي زادت على حجم شريعة العهد القديم [٣١]. وسنعود لدراسة الشريعة الشفوية عند الفريسيين، ومفهومها، فى هذه المقدمة .

اهتم الفريسيون بالتقوى الشخصية الطقسية، وأعطوها أولوية على كل شيء آخر. اهتموا بالصوم فى المواعيد المحددة (مت٩:١٤)، سعوا للمعمودية (مت٣:٧)، عشّروا كل شيء حتى البقول (لو١١:٤٢)، ورفضوا أى شيء لم يتم تعشيره، رفضوا الشركة مع الأشرار (مر٢:٦)، واهتموا

(٣٠) المرجع السابق. ص٥٤٣

(٣١) المرجع السابق. ص٥٤٦

بالطهارة الشخصية من خلال الاغتسال الطقسى (مر٧: ٣، ٤)[٣٢] .

أراد الفريسيون أن تكون حياة الإنسان كلها خاضعة للشريعة، وبذلك يكونون أبراراً[٣٣]، ويكون كل الشعب، أناس الشريعة [٣٤] .

عاش الفريسيون عيشة بسيطة، فلم يلجأوا إلى الترف. كانوا يمثلون الغالبية من الشعب، ولهم مكان ظاهر (لو١١: ٤٣). كثيرون من القيادات كانوا فريسيين. فيعقوب، أخو الرب، كان فريسياً. وبولس الرسول كان فريسياً. كانت الفريسية أخوّة، تشمل كل أفراد الأسرة [٣٥].

دخل الفريسيون عضوية مجمع السنهدريم، وهو أعلى سلطة يهودية دينية سياسية، فى مجتمع اليهود، فى تلك الأيام. تحالف بعضهم مع الرومان، ولكن الغالبية لم يتحالفوا.

عارض المسيح كثيراً من أفكار الفريسيين، خاصة الشريعة الشفوية. لكن الفريسيين كرهوا المسيح لأنه كسر السبت، وكسر تقاليد الشيوخ، وصادق العشارين والخطاة.

الصدوقيون :

ينتمى الصدوقيون إلى صادوق، الذى كان كاهنا أيام داود الملك، ورئيس كهنة أيام سليمان الملك (صموئيل الثانى ١٥: ٢٧و ٢٠: ٢٥ وملوك

(٣٢) Roetzal . op . cit . pp . 25 , 26

(٣٣) Pentcost . op . cit ., p . 548 .

(٣٤) المرجع السابق. ص. ٥٥

(٣٥) Edersheim . op . cit p . 228

الأول٢: ٣٥). إلا أن الحزب، بهذا الاسم، تكوّن فى عهد المكابيين (١٦٧-١٤٢ق.م.)[٣٦].

استمر معهم خط الكهنوت إلى السبى البابلى، ثم أعيد بعد السبى ممثلاً فى يهوشع بن يهوصادق (حجى١: ١). وهم فرقة سياسية أكثر منها دينية. وكان لهم احترام كبير فى إسرائيل (حزقيال. ٤: ٤٥..و ٤٤: ١٥..)[٣٧]. كثيرون من الصدوقيين يمثلون أصحاب الأملاك الريفيون، بينما كان الفريسيون ممثلين للبورجوازية الحضارية[٣٨].

أنكر الصدوقيون الملائكة والأرواح. لم يؤمنوا بخلود النفس، ولا بالعقاب الأبدى، ولا بالقيامة من الأموات. نادى الصدوقيون، بأنه لا ثواب ولا عقاب (مر١٢: ١٨-٢٧).

غالبية الكهنة من الصدوقيين. فقد كان فى الهيكل، فى تلك المرحلة، عشرين ألف كاهن. وكان رئيس الكهنة -عادة- صدوقياً. وإلى جانب ذلك، كان الصدوقيون أغنياءً، أرستقراطيين، سياسيين متعلمين. ولعلك تدرك العلاقة بين الكهنة والغنى.. وارتباط الكهنوت والسياسة، صورة كانت قائمة في عهد السيد المسيح.

فعندما تحدث المسيح عن الأغنياء، كان يشير إلى أغنياء المجتمع، كما كان يشير إلى أغنياء الصدوقيين. والربط بين الكهنوت (الدين) والسياسة (الدولة) كان واضحاً فى هذا الحزب.

---

(٣٦) Roetzal . op . cit ., p . 29

(٣٧) Pentcost . op . cit , p . 553

(٣٨) المرجع السابق. ص٥٥٦

تمسك الصدوقيون بشريعة العهد القديم، واهتموا بتطبيقها حرفياً. وبذلك، اهتموا -مثلاً- بتقديس يوم السبت حرفياً. لكنهم رفضوا الشريعة الشفوية التي اهتم بها الفريسيون.

كان للصدوقيين مكان في السنهدريم . وكان رئيس الكهنة، رئيساً للسنهدريم. فهم من علية القوم في المجتمع اليهودي. ولذلك كان لهم علاقة مباشرة بالدولة الرومانية. فتحالف الصدوقيون مع الرومان، لصالح الطرفين، على حساب الدولة والشعب.

اصطدم بهم السيد المسيح، عندما جاءوا يسألونه عن القيامة. فذكروا له عن زوجة مات زوجها، فتزوجها أخو زوجها، ومات الثانى، فتزوجها أخو زوجها الثالث، ومات الثالث، وبذلك تزوج الإخوة السبعة هذه الزوجة. وكان سؤال الصدوقيين: لمن تكون هذه الزوجة في القيامة؟ (متي ٢٢:٢٣-٣٣، مرقس ١٢:١٨-٢٧، لوقا ٢٠:٢٧-٣٦). ولما كان الصدوقيون لا يؤمنون بالقيامة، فأرادوا أن يعرفوا رأيه، أو أن يحرجوه. وكانت إجابة المسيح أنه في القيامة، لا يزوجون ولا يتزوجون.

كما علق المسيح على رأي الصدوقيين، عندما أجابهم بسخرية أن: الرب إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب، ليس هو إله أموات بل إله أحياء . ولم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شئ (لوقا ٢٠:٣٧-٤٠). فإن كان الله إله أحياء، فلابد من خلود النفس، وقيامة الأموات.

وبعد الخراب الثانى للهيكل فى عام ٧٠ م، اختفي الصدوقيون كلية،

فوظيفة الكهنوت والهيكل، لم تصبح قائمة [٣٩].

كان الصدوقيون حرفيين فى تطبيق شريعة العهد القديم، بينما كان الفريسيون حرفيين فى تطبيق شريعة العهد القديم والشريعة الشفوية. كان الفريسيون أسهل فى عقاب الخطأ من الصدوقيين [٤٠]. اهتم الصدوقيون جداً باستقرار الأمن.

كره الصدوقيون المسيح، لأنه آمن بالقيامة من الأموات، وبالحياة الأبدية، وبالثواب والعقاب. لكنهم لم يتعرضوا له.

ولم يعيروه التفاتاً - فكان مركزهم وسلطانهم يعاونهم علي أن يثبتوا فى موقعهم، دون التعرض للمسيح. ولكن الوضع تغير كلية، عندما تعرض المسيح لهم، وهاجمهم. ولما كانوا أرباب السلطة، فلم يحتملوا هجوم المسيح عليهم، ولم يقبلوه على أنفسهم، فهاجموه. ولعل المسيح كان يدرك تماماً ما يعمله. فعندما هاجم المسيح الفريسيين، كان يلقي منهم الهجوم العادي، ولكنه عندما هاجم الصدوقيين، تغير الوضع.

كانت ثورة المسيح لتطهير الهيكل ثورة ضد الصدوقيين، عندما قلب المسيح الموائد، وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: بيتى بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. فعندما اعتدي المسيح عليهم مباشرة وعلناً، واعتدى على رأس مالهم، دبروا له مكيدة جثسيماني، من خلال يهوذا

---

(٣٩) المرجع السابق - ص ٥٥٥

(٤٠) المرجع السابق - ص ٥٥٦

الإسخريوطي، وقبضوا عليه وقدموه للمحاكمة. وارتباط الصدوقيين بالحكم، وبالرومان، عاونهم على صياغة الحكم ضد المسيح.

وعندما جاء المسيح للمحاكمة، كان الفريسيون يحقدون عليه. فاتفق الأضداد : الفريسيون والصدوقيون، عليه في المحاكمة، ليتخلصوا منه. والصورة هنا واضحة، فليس للشعب مكان. ورأى الشعب لا يقيم وزناً. فمتى أراد الحكم تحقيق هدف معين، حققه.

الكتبة :

علماء محترفون، عرفوا التوراة، وفسروا الشريعة. تعود وظيفة الكاتب، إلى عهد عزرا النبى في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد[٤١] .عاد عزرا من سبي بابل إلى الأرض المقدسة في حوالى عام ٤٥٨ ق. م. وكان السبي قد استمر (٥٩٧ - ٥٣٧ ق.م). جمع عزرا الشعب فى أورشليم، وقرأ عليهم كل الشريعة، لتجديد العهد بين الله والشعب. كان عزرا كاتباً ماهراً (عزرا ٧:٦، ١١).

ارتبط الكتبة بالهيكل قبل السبي البابلي (أى قبل ٥٩٧ ق.م). وكان لهم مراكز الشرف في المجامع، وأعطاهم الشعب سلطان التفسير والشرح للشريعة (مرقس ١٢:٣٨،٣٩). وعندما كان الناس يسألون عن سلطان المسيح، كانوا يتحدثون عن سلطان التعليم الذى للكتبة، ولم يكن يسوع المسيح واحداً منهم.

كان للفريسيين كتبة، وكان للصدوقيين كتبة. فعندما يتحدث الوحى عن

---

(٤١) Roetzal . op . cit, p . 32

الكتبة والفريسيين كان يشير إلى كتبة الفريسيين مع الفريسيين (مرقس ١٦:٢).

دخل الكتبة عضوية مجمع السنهدريم الأعلى، ليس بلقب كتبة، بل بلقب «فريسي» أو «صدوقى». ولما كان مجمع السنهدريم مجمعاً للشئون القانونية، فقد كان وجود الكتبة فيه هاماً [٤٢].

اعتبر اليهود الكتبة، علماء الشعب ومعلمون للناموس (لوقا ١٧:٥، أعمال الرسل ٣٤:٥) [٤٣]. انتقادات كثيرة وجهها السيد المسيح للفريسيين، كانت أساساً لكتبة الفريسيين (لوقا ١١:٤٦-٥٢ و ٤٦:٢٠ و١١:٤٣). فكل الإشارات إلى القوانين العسرة فى تطبيقها، والتعالي، والسعى للأولوية، والحكم على أنبياء أبرار بالإعدام، حتى سماهم المسيح "قاتلوا الأنبياء" (متي ٣١:٢٣).

وقد كان الكتبة يتقدمون على العلمانيين من الفريسيين لعضوية السنهدريم، وكانوا فى الأغلب يحظون بها. [٤٤]

ومن الكتبة نيقوديموس (يوحنا ١:٣و٥٠:٧)، وغمالائيل الأول (أعمال الرسل٣٤:٥)، وابنه سمعان. وبولس الرسول كان منهم (أعمال الرسل ١٠:٢٥، ١١)، الذى اشتغل فى المحكمة الجنائية [٤٥].

---

(٤٢) Pentcost op . cit ., p . 551

(٤٣) المرجع السابق - ص ٥٤٩

(٤٤) المرجع السابق - ص ٥٥٢

(٤٥) المرجع السابق

الأسينيون

مجموعة من مزارعين وحرفيين، عاشوا فى البرية. درسوا الوحى. اجتمعوا فى المجمع يوم السبت. وقدسوا السبت[٤٦] سموا بالاسينيين Essens.

كانوا يذهبون لعملهم مبكراً، ثم يعودون حوالى الحادية عشر صباحاً، يأخذ الواحد منهم «الحمام الطقسي»، ثم يجتمعون معاً. وكانوا يلبسون الملابس البيضاء، ثم يشتركون فى غداء جماعى. لم يكن الغداء فريضة، لكنه كان شركة تحمل معنى دينياً.

عاش الأسينيون حياة بسيطة. لم يكونوا يسمحون بسهولة لشخص يدخل بيتهم، إلا بعد اختبار شديد لمدة قد تصل إلى عامين أو ثلاثة أعوام. حفظوا السبت وتمسكوا بما جاء فى الشريعة الشفوية. الأكل، والنوم، والعمل، والصلاة كلها ممارسات طقسية فى نظرهم. كانوا يرفضون القَسم، ويطالبون بعدم البصق فى المجمع، وعدم النوم فيه. وضعوا حدوداً للضحك. رفضوا عرى الجسم. طالبوا بأن يكون الإنسان صادقاً عندما يتحدث عما يمتلك.

لم يكن لهم مكان سياسى. فهم جماعة متواضعة، تعيش التقوى الطقسية، فى بساطة وهدوء، ودون مظاهر. وكان عددهم قليلاً جداً [٤٧].

الغيورون :

ظهر الغيورون zealots من اليسار الفريسي. ومن كبار زعماء الحركة

---

(٤٦) Roetzal . op. cit., p. 35

(٤٧) Edersheim Sketches. p. 245.

المعروفين: يهوذا الجمالا Judas of Gamala الذى ظهر فى عام ٦ م. ثم يوحنا جيشالا John of Gishala الذى ظهر فى عام ٦٦م، وقاد حركة أسقطت أورشليم فى عام ٧٠ م. كان يهوذا ويوحنا جليليان.[٤٨]

كان أول ما أثار الشعب حركة إحصاء كيرنيوس، فظهر الغيورون يطالبون بتحرير الوطن من المستعمر الرومانى. طالبوا بعدم دفع الضريبة للرومان. وطالبوا بأن يحمل أعضاء الحزب السلاح.

كان الغيورون قلة، وكان لهم مكان محدود. كان واضحاً أن المسيح تجاوب معهم. لم يحدث صدام بينهم وبين المسيح. يغلب على الظن أن بعض التلاميذ دخلوا حزب الغيورين. فقد حمل بعض التلاميذ السلاح. وعندما هوجم المسيح فى بستان جثسيمانى، قطع بطرس أذن عبد رئيس الكهنة بالسيف. لم يدخل المسيح عضوية الحزب، لكن تفهُّم المسيح للحزب، وارتباط بعض التلاميذ به، عاون على إعطاء قوة للحزب، هى التى بها دخل الحكم بعد موت المسيح، وعاون علي هدم وتخريب الهيكل فى عام ٧٠م.

الشريعة الشفوية

كانت وصية الله، أن الشعب المختار، يكون «مملكة كهنة» (خروج ١٩:٦). أخذ الفريسيون هذه الوصية على محمل الجد، وبذلك صارت - فى نظرهم - حياة الشعب، من رجال ونساء، ممارسات كهنوتية وهيكلية.

ذكرنا أن الفريسيين، أصحاب المذهب الأضيق، حاولوا تطبيق الشريعة

---

(٤٨) Roctzal . op. cit., p. 42

حرفياً. فقد صاموا، وعشّروا حتى النعنع والكمون، وقدسوا السبت حرفياً.

وبذلك واجهوا تفاصيل عديدة، بشأن تطبيق الشريعة الحرفى، وأصدروا "الشريعة الشفوية" التى كانت معروفة فى فترة ما بين العهدين، والتى كتبت فيما بعد. وتعتبر الشريعة الشفوية، هى الميزة الهامة للفريسيين، وبعض ما جاء فيها قد يكون متناقضاً مع الشريعة المكتوبة أو التوراة [٤٩].

وقد بدأت الشريعة الشفوية أثناء السبى البابلى، واستمرت فى الزيادة والإضافات، فى فترة ما بين العهدين، حتى جمعها بطريرك يهوذا judah فيما سمي بالمشنا [٥٠]. وقد سمي هذا بتقليد الآباء، أو تقليد الشيوخ (متى ١٥:١-٩ ومرقس ٧:١ -٢٣).

وقد ارتبطت الشريعة الشفوية، بتفاصيل دقيقة، فى أمور عديدة، وهاك بعض النماذج.

- لا يجوز لإنسان أن يستخدم الأسنان الصناعية يوم السبت [٥١].
- لا يجوز أن تجر كرسياً على الأرض يوم السبت [٥٢].
- الشحاذ لم يكن له أن يطلب مساعدة يوم السبت، ولا أن يستلم أموالاً يوم السبت [٥٣].
- المرأة لا تنظر إلى المرآة يوم السبت، لئلا ترى شعرة بيضاء، فتقطعها.

(٤٩) Pentcost op . cit . , p p. 545 , 546

(٥٠) المرجع السابق .

(٥١) weatherhead . his life& ours P. 94

(٥٢) المرجع السابق

(٥٣) pentcost . op. cit., p. 288

- لا يجوز إشعال النار يوم السبت.

- السير على الأقدام لا يتجاوز ألفى غلوة.

- وأقيم حوار حول عقدة، هل يجوز حلها يوم السبت أم لا [٥٤].

- وقالوا إن اللحم الذى سيذهب للعبادة الوثنية غير محرم، لكنه متى دخل وخرج صار محرماً، لأنه أصبح ذبيحة لأنه ميت [٥٥].

- وقالوا إن اللبن الذى تحلبه يد وثنية لا يستعمل. وكذلك الخبز والزيت الذى تعده أيد وثنية يباع للأجانب ولا يستعمل فى إسرائيل[٥٦].

وأثيرت مشكلة عن دجاجة باضت يوم سبت، هل يجوز أن تؤكل البيضة أم لا؟ وتحدثوا عن فريسي، رأى امرأة، فسار بنصف عين مفتوحة وأغمض العين الأخرى، لكى لا يرى المرأة، فاصطدم بحائط، وأصيب [٥٧].

وقدمت وصفات عن السلوك الحميد، ماذا يُعمل مع من يقاطع حديث آخر؟ وماذا يُعمل مع من يضحك بغباء أو بصوت مرتفع؟ [٥٨].

وارتبطت الشريعة الشفوية بطقوس وممارسات خاصة، مثل: من يلمس جسد ميت يأخذ حماماً طقسياً. وغسيل الآنية يتم طقسياً كما أن غسيل الأيدى طقس للتطهير قبل الصلاة وقبل الأكل (مرقس ٧:٣،٤).

وطقس غسيل الأيدى فى عيد الفصح - على سبيل المثال - كان يُمارس

---

(٥٤) Roctzal op . cit . p. 30

(٥٥) Edersheim . sketches. p. 27

(٥٦) المرجع السابق.

(٥٧) Fosdick, the man from nazareth P.79

(٥٨) المرجع السابق ص ٣٩

كالآتي: يأتى الماء، ويغسل كل واحد يداً واحدة. ثم يأخذ كأس النبيذ ويشرب، ثم يأتى الماء ثانية، ويغسل كل واحد اليدين، وبعد الشكر لله، يبدأ تناول الطعام (٥٩).

وامتدت الشريعة الشفوية لتتناول المعاملات الإنسانية. فلا يجوز التعامل مع العشارين والخطاة، لأنهم غير طاهرين، ومنعوهم حتى من الجلوس على مائدة واحدة (مرقس ٢:١٦). كما رفضت الشريعة التعامل مع المرضى والمعوقين والمرضى نفسياً (المصابون بالأرواح الشريرة)، فهؤلاء - فى نظرهم - أشرار، لا يجوز التعامل معهم. وفى أوقات تشدد الفريسيون لكى لا يعاملوا غير الفريسيين (٦٠).

وقيل إن اليهودي التقى لا يجلس على مائدة الأممى (أعمال الرسل ١١:٣، غلاطية ٢:١٢). كما قيل إنه إن دخل بيتك أممى، فلا تتركه وحيداً فى الغرفة ، وإلا فإن كل قطعة أثاث فى هذه الغرفة تصبح غير طاهرة(٦١).

وقد بلغ عدد شرائع المنع ٣٦٥ شريعة، ووصايا التنفيذ ٢٤٨ وصية مما فسروه عن الشريعة الموسوية (٦٢)، هذا بخلاف الشرائع الإضافية للشريعة الشفوية.

---

(٥٩) Pentcost . op. cit., p. 308

(٦٠) المرجع السابق . ص . ٣١

(٦١) Edersheim . sketches p.p. 27 , 28

(٦٢) pentcost . op cit . p 311

رابعاً

مجامع اليهود

السنهدريم

السنهدريم هو المجمع الأعلى لليهود. يرجح أنه يعود إلى عصر موسي، عندما جمع سبعين من رجال إسرائيل، للحكم (عدد ١١:١٦). وكلمة السنهدريم، كلمة عبرية تعنى «جالسون فى مجلس». ليست لدينا معلومات كافية عن السنهدريم قبل عزرا الكاتب، لكن عزرا اعترف به [٦٣].

يتكون السنهدريم من كهنة وشيوخ، برئاسة رئيس الكهنة. ويأخذ دور حاكم كل فلسطين. يناقش الشئون القانونية، ويصدر القرارات اللازمة فى الشئون السياسية والدينية.

عاشت إسرائيل فى أوضاع استعمار عبر سنوات طويلة. وقد ترك للسنهدريم أن يعمل فى الشئون الداخلية، التى لا ترتبط بالمستعمر [٦٤] وفي عهد جابينيس Gabinius، الحاكم الرومانى لسوريا (٥٧ - ٥٥ ق.م)، قسم فلسطين إلى خمسة مجامع يرأسها السنهدريم الأعلى. واستمر السنهدريم فى عهد هيرودس، لكنه كان ضعيفاً جداً. وفى عام ٦ م أعطيت سلطات أكبر للسنهدريم بعد موت هيرودس الكبير، وهو سنهدريم العهد

(٦٣) Pentcost. op. cit., p. 557.

(٦٤) المرجع السابق. ص ٥٥٨

الجديد ، الذى تعامل مع المسيح، ثم مع الكنيسة الأولى.

مع ثورة اليهود التى بدأت في عام ٦٦ م، أعلنت الأحكام العرفية، ثم مع سقوط أورشليم فى عام ٧٠ م. انحل السنهدريم [٦٥].

كان السنهدريم الأعلى يتكون من ٧١ عضواً. ويقال إنه كان يجتمع فى رواق جنوب الهيكل فى مدينة أورشليم [٦٦].

المجامع اليهودية

انتشرت المجامع اليهودية فى الجليل واليهودية. وكانت المجامع تختص بقراءة كاملة للشريعة على الشعب. لا يُعرف تاريخ المجامع، ولا تطورها عبر الزمن. إلا أن المجامع تأكد وجودها فى عصر عزرا الكاتب [٦٧]. كان الكاهن يقود المجمع فى العبادة والقراءة متى كان موجوداً، فإن لم يوجد كاهن، كان يقود العبادة أحد اللاويين، فإن لم يوجد لاوى قادها شخص آخر من الموجودين.

وكانت الأسفار الخمسة قد قسمت إلى خمسين قسماً، كل قسم يتكون من سبعة دروس. كان يقرأ فى كل مرة قسماً من هذه الأقسام [٦٨].

وقد بلغ عدد المجامع اليهودية المحلية ٤٨٠ مجمعاً على الأقل [٦٩].

(٦٥) المرجع السابق ص ٥٥٩
(٦٦) المرجع السابق ص ٥٦٠
(٦٧) المرجع السابق ص ٥٦٣
(٦٨) المرجع السابق
(٦٩) المرجع السابق ص ٥١٢

خامساً

الطبقية في المجتمع الذي عاش فيه المسيح

ربط المجتمع اليهودى بين الدين والدولة. فالأحزاب السياسية والدينية اختلطت معاً. وطبقات المجتمع اختلطت معاً. وكان التصنيف عجيباً: فهناك الغنى والفقير، السيد والعبد، الأبرار والخطاة، الرجال والنساء. وقد اختلطت طبقة الفقراء والعبيد والخطاة. كما اختلطت فئات السادة والأغنياء. فلا يمكن للمرأة أن تكون من السادة، كما لا يمكن للخاطئ أن يكون من الأبرار.

فالخطاة – فى نظر الأبرار – يحكم عليهم بالعقاب حسب الشريعة، ولا مكان لهم للتوبة. فدعوة المعمدان لهم بالتوبة، ثم دعوة المسيح بالتوبة لم تكن مقبولة من مجتمع اليهود. والمرأة الزانية ترجم، ولا رحمة لها ولا غفران، فالزانية تعاقب، والزانى لا يعاقب. قال التلمود: «المرأة أقل قدراً من الرجل»، وذكر أن «كلمات الشريعة تحرق أفضل من أن تقدم لامرأة». وتنصح المشنا بعدم التحدث كثيراً مع المرأة. وأعطت الشريعة - قديماً - الزوج بأن يكون زوجاً وقاضياً، فهو يطلق زوجته، ويعطيها كتاب الطلاق.

وفى عصر ما بين العهدين، ظهرت مدرستان: هليل وشمّاى. كان هليل أكثر تزمتاً، وشمّاى أكثر تحرراً. وكانت مدرسة شمّاى مشهورة فى أيام المسيح. ولنأخذ على سبيل المثال: طالبت مدرسة هليل بتطليق الزوجة إن

أفسدت الطعام، أما مدرسة شمّاى، فلم تسمح بتطليق الزوجة إلا لعلة الزنى. إلا أنها أضافت، أنه إن رأى الزوج امرأة أخرى، واستحسنها، له أن يطلق الأولى ويتزوج من الثانية. إلا أن المدرستين كلتيهما سمحتا للزوج أن يطلق الزوجة، وليس العكس (٧٠).

وكعادة الشعب حاولوا أن يكتشفوا أي مدرسة يتبعها المسيح. هل هو تابع لمدرسة هليل أو لمدرسة شمّاى؟ وكان واضحاً أنه مرات اتفق مع هليل، وأخرى مع شمّاى. وحقيقة الأمر أنه لم يؤيد مدرسة واحدة معينة.

إلا أن الطبقية - فى عصر ما بين العهدين - امتدت لدرجة أن علماء اليهود هاجموا موقف دبورة القاضية، وخلدة النبية. فكيف تأخذ المرأة مكانة ترأس فيها الرجل؟ وهم ينادون أن المرأة للبيت، لتحفظ طاهرة، وعند الزواج فهى للنسل فقط.

بل إن اليونانيين والرومانيين اتفقوا مع كثير من نظم الطبقية التى كانت سائدة فى عصر السيد المسيح. ، فالمرأة مِلك الرجل، وهى تعامل على أنها سلعة لا إنسان، وهى تغطي الرأس بالشال. ولم يكن للحجاب فى تلك الأيام مكان.

فساد المجتمع

ساد الفساد بكل ألوانه فى المجتمع الذى عاش فيه السيد المسيح. فساد السلطة والمتسلطين، وفساد رجال الدين، واستخدام الهيكل للمصالح

---

(٧٠) المرجع السابق . ص ٥٤٧

الشخصية، وإهمال مصالح الشعب، وعدم الاهتمام بخدمته. وكانت الصورة التى قدمها السيد المسيح للسامرى الصالح، بالمقارنة مع الكاهن واللاوي، صورة نموذجية للفساد الذي استشري فى المجتمع، فى عصره.

ورغم ذلك، كان الكل يهتمون بالطقسية. فالفريسيون، والصدوقيون والأسينيون، كلهم كانوا حرفيين، اهتموا بتطبيق الشريعة حرفياً، وممارسة طقوسها دون تعديل. وأضاف الفريسيون الشريعة الحرفية، بكل ما فيها من عقد وقيود.

وظهر من وراء ذلك ممارسات الحياة اليومية، كالاغتسال، التى أصبحت طقساً يمارس. وكان هناك الطعام الطاهر وغير الطاهر، إلى غير ذلك. مارسوا الفساد، وغلّفوه بالروحانية وبالطقوس، فاختفى الفساد، فى نظرهم وظهر الطقس.

هذه صورة حقيقية للتطرف الديني، فى أسوأ مظاهره. صورة شاهدها السيد المسيح، وعانى منها وبسببها، وتألم من أجلها. كان الهيكل قائماً فى عهده، كما كانت تمارس العبادة فى المجامع. وكان الفساد ينخر في عظام المجتمع كله.

قضايا ثورية

في أقوال وأعمال السيد المسيح

تقديم

قبل أن ندرس أقوال وأعمال السيد المسيح، لنستخرج منها، مبادئه الفكرية والمعانى التى أراد أن نفهمها، ونحيا بها، نحتاج أن ندرس بشئ من الوضوح مسألتين:

(١) من هو المسيح ؟

نريد أن نتعرف عليه، وعلى دوره. وأى المدارس العلمية تنطبق عليه؟

(٢) ما هى القيم التى نادى بها السيد المسيح وكيف نفسرها ؟

نريد من هذا أن نعرف كيف نفسر أعمال وأقوال السيد المسيح، لنكون أقرب ما يكون إلى فكره.

وبعد ذلك نناقش بعض القضايا.

من هو المسيح ؟

سؤال غريب !

من هو المسيح ؟

لست أتحدث هنا عن ولادته، وتبعيته لوالديه، أو لمجتمعه، أو للدولة التى نشأ فيها. ولست أتحدث هنا عن رسالته فى مضمونها ومحتواها. لكنى أحاول أن أكتشف «لون» دور المسيح، فى المجتمع الذى عاش فيه. وبالتالى أحاول أن أرى، ما هو دوره بالنسبة لمجتمعنا المعاصر.

تحدث المسيح عن نفسه أنه كارز (مرقس ١:٣٨)، عندما قال إنه سيذهب إلى القرى المجاورة، لإعلان البشارة. وتحدث عن نفسه كنبى عندما أشار أنه «ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه» (متى ١٣:٥٧ ومرقس ٦:٤ ولوقا ٤:٢٤). وتحدث عن نفسه كمعلم فى إشارات عديدة، وتحدث إليه كثيرون على أنه معلم (مرقس ٩:٥، ١١:١٧و١٨، ١٢:١٩، ١٤:٤٥ ومتى ٢٦:٢٥، ٢٦:٤٩).

وتحدث المسيح عن نفسه كمن جاء ليخدُم، وليبحث عن الضال، ويحرر الإنسان، وليخلص من الهلاك، وليدعو الخطاة (مرقس ١٠:٤٥، لوقا٩:٥٦و١٩:١٠). وكل هذه تصلح ألقاباً له. [٧١].

ربما يكون من المناسب أن ندرس دور المسيح، من خلال أسلوبه، وعمله، وحواراته، وأحاديثه، لعلنا ندرك لون الشخصية، وما أراد أن يحققه فى العالم، فى مجيئه، منذ قرابة ألفى عام.

---

(٧١) Barclay . The mind of jesus pp. 142 - 144

تحدثوا عن المسيح بأنه "معلم". وجاء البعض للمسيح يتحدثون إليه على أساس أنه معلم، كما رأينا. إلا أن المسيح، لم يسلك الطريق التقليدى لمعلمى اليهود، ليصبح معلماً. ولم يمارس المهنة كمعلم لليهود، يتتلمذ على يديه الآخرون بالأسلوب التقليدى الشائع فى تلك الأيام. وقد كان المعلم يقوم بعمله قاصراً على التعليم فقط. لكن السيد المسيح كان أكثر من معلم، فقد كان عمله -الميدانى- بين الناس أكثر من تعليمه. فلم يكن المسيح معلماً بالمعنى اليهودى التقليدى، ولم يكن دوره قاصراً على التعليم. وكان تعليمه مرتبطاً بالحياة العملية، أكثر من نظريات الشريعة.

ووصفوا المسيح بأنه "مصلح اجتماعى". وهناك -ولا شك- جوانب فى حياة المسيح يظهر فيها اهتمامه بالإصلاح. إلا أن المسيح لم يهتم بالتنظير العلمى، فلم يكن يهدف إلى وضع نظرية علمية اجتماعية. فقد كان يعلم أحياناً، ويعمل أحياناً أخرى. وحتى التعليم، كان مرتبطاً بعمله الميداني. إلا أن المفهوم العصرى، للمصلح الاجتماعى، يتضمن أدواراً سياسية، واقتصادية، واجتماعية. ولم يكن هذا دور المسيح تماماً(٧٢).

والمصلح الاجتماعى، يتعامل مع الجماهير، ومع السلطة، على حد سواء. ومعاملته مع السلطة، تعاونه على اتخاذ القرارات سواء من خلالها أو من خارجها. لكن المسيح لم يكن مصلحاً اجتماعياً، بالمعنى العلمى المفهوم فى العصر الحاضر.

حاول السيد المسيح أن يتفادى التعامل مع الاستعمار الرومانى -أو

(٧٢) Fosdick op. cit. , p. 85

السلطة الرومانية، باعتبارها السائدة على الحكم فى أيامه. تعامل المسيح مع السلطة اليهودية، لكنه تحاشى التعامل مع الرومان. عندما طُلبت الجزية دفع الجزية. ولم يواجه السلطة الرومانية مواجهة صريحة، إلا عندما أحاله اليهود إلى المحاكمة. وكان المسيح- كما يتضح من أسلوبه- حريصاً على وجود دور فعال له داخل الكيان اليهودى الفلسطينى. كما أنه كان حريصاً على عدم خلط الأوراق.

ويتضح من تصرفات المسيح أنه لم يكن يستريح لوجود الاستعمار الرومانى، فلم تصدر منه كلمة مساندة للمستعمر. كما يتضح تعاطف المسيح مع الغيورين، وتسليح بعض التلاميذ، دليل انخراطهم فى ذلك الحزب. لكن المسيح أراد أن يركز دوره على التعامل مع اليهود كدين وكسلطة. فدوره هذا، كان كبيراً مؤثراً. فلو أصلح الكيان الداخلى، أمكنه أن يواجه المستعمر. وكيف يواجه المستعمر والكيان الداخلى ممزّق.

إذن، من هو المسيح؟

كان المسيح "صاحب مدرسة فكر"، و"مصلحاً" فى ذات الوقت. كان يتكلم، وفى كلامه تعليم. ولم يكن الكلام هدفاً، بل كان الكلام يأتى من منطلق المواقف التي يواجهها. فكان يقدم التعليم من خلال المواقف العملية.

وكان المسيح يعمل أكثر منه يتكلم. وكان يتكلم وهو يعمل، وأحياناً يعمل فقط، وصوت العمل أقوى من الكلام. وكان عمله تلقائياً. لم يكن مخططاً من قبل. بل كانت الظروف، والمواقف، من خلال تجواله، تهيىء له مواقف الكلام والعمل. خرج إلى الناس، دخل البيوت، جلس مع أفراد أو

جماعات، التقى بالجماهير، وفى كل حالة، كانت الظروف والأحداث هى التى توحى بالكلام أو العمل.

يدخل يسوع إلى بيت الفريسى، فتأتى امرأة خاطئة، تبكى عند قدميه، فتعطيه فرصة أن يتحدث. وكان يسير فى الطريق، فتأتيه مجموعة من الفريسيين، يسألونه سؤالاً، فيجيب. وكان وهو سائر، يستمع إلى صوت يناديه، إنه بارتيماوس الأعمى، فيقف، ويدعو بارتيماوس، يعمل ويتحدث. فأعلن المسيح مدرسته الفكرية، من خلال أقواله وأعماله.

العمل من خلال الفكر والحوار بطيء، يحتاج لوقت طويل. فربط الإصلاح بالفكر يدفع عجلة العمل بكيفية أسرع. لذا فالمسيح كان يلح على التغيير. إن مذهبه في ذلك هو "مذهب الفعّالية Activism لأنه كان فعالاً Activist، يدعو للتغيير، ومرة استخدم القوة للتغيير. يظهر من هذا دور المسيح كمصلح.

كان المسيح يعمل مع الجماهير، يلتقى بهم كأفراد أو كجماعات، كما التقى بالجماهير فى مناسبات عديدة. لم يطلب المسيح أن يكون فى لقاء مع السلطة. لكن السلطة سعت إليه لتحاوره فى مرات عديدة. وكان لابد له أن يواجه السلطة فى نهاية طريقه، عندما أخذوه إلى الصليب. وعندما واجه السلطة، كان واضحاً، صريحاً، قوياً، استخدم أساليب لائقة فى الحديث.

وقد تطرق المسيح لأقوال، كانت جديدة جداً على اليهود في ذلك الوقت. فمثال "الابن الضال" (لو١٥: ١١-٣٢) في مضمونه، كان ثورة صارخة على

اليهود، وعلى تعليمهم(٧٣). وما نحتاج إليه هنا هو أن ندرك، ما هو الجديد على اليهود في هذا المثل - وغيره، وكيف فهم المستمعون كلام المسيح، وكيف نشروا أعماله، في عصرهم. عندما ندرك ذلك، سنفهم ما اتجه إليه المسيح، وما قصده.

فإنه رغم أن المسيح كان تلقائياً في أحاديثه، كما كان يواجه الأحداث بتلقائية، إلا أنه في كلامه وأعماله، كان مؤثراً للدرجة التي دفعت الأفراد والمجتمعات إلى التحرك، لاتخاذ إجراءات فعّالة وجذرية، لتحقيق الأهداف. فلم يترك المسيح المجتمع في راحة. كان يتحرك كثيراً، يعمل كثيراً ويعلّم.

من هذا نرى، أن السيد المسيح، كان صاحب مدرسة فكر، ومصلحاً يُلح على التغيير.

نشر المسيح فكره من خلال الممارسة، فأعماله تنطق بأفكاره، ودعا من خلال أعماله، أن ينتقل المجتمع نقلة واسعة، بأن يصلح مساره الخطأ. ثم ساندت أقواله أعماله. وكان يهدف من وراء ذلك إلى تغيير المسار.

---

(٧٣) المرجع السابق. ص٤٩

القيم وكيف نفسرها ؟

نريد أن نكتشف المبادىء، التي ترسم لنا الطريق، ونحن ندرس أقوال السيد المسيح وأعماله، لكى نفسرها. فالواضح أن السيد المسيح، كان يتحدث إلى الناس، من خلال تعبيرات مفهومة لديهم، وفى شئون ترتبط بحياتهم اليومية. لقد وصفنا السيد المسيح، بأنه صاحب مدرسة فكر، ومصلح يعمل لتغيير حياة الناس، الأفراد والمجتمع، الجهاز، والبنية الإدارية. لذا، استخدم المسيح لغة التخاطب التى يفهمها الشعب، ليكون مؤثراً.

ولما كان حديث المسيح وأعماله، مرتبطين بالظروف التي عايشها، والمواقف التى واجهها، فكان حديث المسيح مرتبطاً، بصورة مباشرة، بالسلوك، والعقائد، والطقوس، والأفكار، والتقاليد والعادات، التى عاشها الناس فى حياتهم اليومية.

ومن أقوال المسيح أو أعماله، نرى أنه مرات كان ثائراً، ومرات أخرى كان هادئاً، أحياناً كان ساخراً، وأحياناً أخرى كان عطوفاً، كان يتحدث فى شئون تمس الدين، أو المجتمع، أو السياسة، أو الاقتصاد بحسب المواقف التى واجهها.

ولكى نركز على أقوال وأعمال السيد المسيح، نركز فى هذا الكتاب، على الأناجيل الأربعة، والأحداث التى وردت فيها.

روحنة النصوص تخرجها عن المعاني المقصودة

ظن بعض الناس أنهم وهم يروحنون النصوص الكتابية، يصلون بها

أعماقاً روحية سامية. وهم فى حقيقة الأمر، يُخرجون هذه النصوص من المعانى الأصلية التى قُصدت بها.

فعندما قال المسيح: "طوبى للمساكين بالروح"، قالوا: إنه يقصد الخطاة! وعندما قال المسيح: "طوبى للحزانى"، فسروها بأنهم الذين يندمون على خطاياهم. وعندما حول المسيح الماء خمراً، وصفوها بأنها خمر الروح القدس(٧٤). والواقع أن المسيح قصد هذه المعانى بعينها. فالمساكين بالروح، يمكن أن يكونوا المساكين روحياً، ويمكن أن يكونوا المساكين اجتماعياً. والحزانى، هم الذين يحزنون حزناً بشرياً عادياً.

"روحنة" المعانى، تبعد النصوص عن الواقع، إلى معان بعيدة. ومن السهل على الناس أن يفسروا المعانى بتفسيرات روحية، لعلهم يبتعدون عن الواقع. فالبعد عن الواقع، يريح الناس نفسياً، وإعطاء معان روحية للواقع، يجعل التفسير فى نظر الناس جميلاً هادئاً. فى الوقت الذى فيه، لو أن التفسير كان واقعياً، لكان أصعب. فالتفسير الواقعى يدفع الإنسان للعمل والتحرك وهذا أصعب.

المدرسة الرمزية في التفسير

وهناك من يمتد بهم التفسير إلى المدرسة الرمزية: نأخذ على سبيل الذكر مثال السامرى الصالح (لو. ١٠:٢٥-٣٧)، الذي قاله المسيح. فالمعنى الرمزى يصف السامرى الصالح بأنه هو المسيح، والدرهمان يرمزان للعهدين

(٧٤) Guthrie , op . cit ., p 58

القديم والجديد، واللاوى والكاهن، هما الشريعة الموسوية، إلى غير ذلك من التفسير. والواضح أن المسيح لم يكن يقصد ذلك. فقد كان يتحدث عن القريب. لذا كان سؤاله من هو القريب؟ فكانت الإجابة: إنه الذى صنع الرحمة. فالقصة إنسانية. والمقصود بالسامرى الصالح هو الإنسان: أنت وأنا. والمقصود بالدرهمين، حافظة النقود. والمقصود باللاوى والكاهن، أناس يهتمون بالشريعة الطقسية أكثر من الإنسان. وبالتالى تكون القصة مفيدة لى.

لكن المدرسة الرمزية، تُكسب الكلمات معان بعيدة جداً عن أهدافها الحقيقية. وهناك من يتيهون، وهم يتأملون المعانى الرمزية. وهذه المعاني تبعد المثل عن واقعه فالواقع الذي تحدث عنه المسيح، هو خدمة المصاب، والتضحية من أجله بالوقت والمال، وانشغال الكاهن واللاوي بالمراسيم الدينية، وترك الإنسان يعانى ويتألم. القصة بكاملها مشكلة إنسانية. والمطلوب من الإنسان أن يهتم بمن يعانى ويتألم، وأن يعطيه شيئاً من وقته وماله. التفسير الرمزى مريح وهادئ، وبعيد عن الإنسان. أما التفسير الواقعى فيدفع الإنسان للعمل، ويجعلنا أقرب لفهم المسيح.

عندما نفهم المعانى التي قالها المسيح، كما فهمها أولئك الذين استمعوا إليه، نكون قد فهمنا المسيح تماماً. ثم نرى كيف واجه المسيح قضايا عصره. وبالمقارنة، يمكننا أن نرى كيف نواجه نحن قضايا العصر، بأسلوب المسيح ومبادئه.

فعلى سبيل المثال: رفض المسيح رجم الزانية، التى أمسكت فى ذات

الفعل، وغفر لها خطاياها، وقبل توبتها. والمسيح اليوم يريدنا أن نمتنع عن رجم الزانية، ونحن نرجمها بالتشهير والإساءة والتشويه. ويريدنا أن يتسع صدرنا لنقبل توبتها.

وعلى سبيل المثال أيضاً. وقف المسيح مع السامرية، وتضايق اليهود لأنه يقف مع إمرأة. وبذلك أراد المسيح أن يعطى المرأة مكانها المحترم فى المجتمع، ورفض احتقار اليهود واليونان والرومان للمرأة. عامل المسيح المرأة على أنها إنسان مساو للرجل. ونحن مطالبون بذلك.

معنى ذلك، أننا نأخذ من أقوال المسيح وأعماله القيم والمبادىء التى قدمها، لتكون نبراساً لنا، نسير على هديها. فبعض أعمال المسيح لم يرافقها حديث، وبعض أحاديث المسيح ذكرت دون عمل، لكننا ندرس الأقوال والأعمال، لعلنا نكتشف "الاتجاه" الذى يريدنا المسيح أن نسلكه. فنحن لا نأخذ الأقوال بحرفيتها، بل ندرسها فى مجملها. واكتشاف الاتجاه الفكرى للمسيح هو السبيل إلى ذلك.

من أقوال المسيح وأعماله نكتشف اتجاهه الفكري والاتجاه يرسم الطريق في المستقبل

أسلوب السيد المسيح، هو الطريق الذى يهدينا إلى معرفة اتجاهه الفكرى. فهناك أعمال مارسها السيد المسيح، لم تكن فى صورتها الكاملة، لأن الشعب -فى عصره- ما كان يقدر على فهمها. لكنه فتح الطريق، بمعنى أنه أرانا الاتجاه، وعلينا أن نتقدم ونسلك فى الاتجاه الذى رسمه المسيح، خطوات أبعد مما أخذها هو.

أقول على سبيل المثال: الطريق الذى رسمه المسيح للمرأة، عندما تحدث معها فى الطريق، وعندما رفض أن يرجمها الرجل، وعندما أعطاها الفرصة للتعليم الديني عند قدميه، وعندما قبل أنها تقوم بالعمل الكرازى، وعندما وافق على دورها فى نشر رسالة القيامة، إلى غير ذلك... كان كل هذا يمثل "اتجاه" المسيح فى تحرير المرأة. فما فعله المسيح مع المرأة كان ثورة فكرية عارمة ضد اليهود واليونان والرومان فى عصره. لكنه لم يتخذ خطوات أخرى، فالمجتمع الذى عاش المسيح فيه، ما كان يحتمل أعماله الممتدة من أجل المرأة. لذلك وقف المسيح عند هذا الحد. والمسيح ينتظر منا، أن نأخذ خطوات أخرى، من أجل المرأة، ومن أجل مساواتها بالرجل، أكثر مما أعلنه المسيح فى أقواله وأعماله. وما نعمله اليوم يكون تحقيقاً للاتجاه الذى رسمه المسيح.

ترى ماذا كان يفعل المسيح لو جاء اليوم، إلى عالمنا المعاصر؟ هل كان يسير فى نفس الاتجاه؟ لا شك أنه كان يسير فى نفس الاتجاه، بل ويأخذ خطوات إيجابية أكبر، لمساواة المرأة بالرجل.

لذا، فإن أقوال وأعمال السيد المسيح على الأرض ليست "شرائع". فالمسيح لم يعط شريعة، لكنها "قيم" تعبر عن "اتجاهاته" الفكرية. ونحن ندرس القيم، لا من خلال عبارة منفردة قالها المسيح بل من مجموع الأقوال والأعمال، لنكتشف منها اتجاه المسيح الفكرى. فنسير فى نفس الاتجاه.

ولما كانت أقوال السيد المسيح وأعماله، مرتبطة بالواقع، فالواقعية تسود على تصرفات المسيح عموماً. فلا يجوز لنا، الهروب من الواقع، إلى

تفسيرات روحية أو رمزية بعيدة.

لذلك كانت القيم التى أرساها المسيح، يمكن تفسيرها لكل العصور، ولكل الأجيال فى كل العالم. فالشريعة الحرفية، تقصر عن أن تكون شمولية. أما القيم التى ترتبط بالواقع، وتحدد الاتجاه، يمكن تكييفها، مع كل عصر، وجيل، فى كل العالم، عبر التاريخ البشرى.

القضية الأولي

دعا المسيح لممارسة التقوي الداخلية
وأعطاها أولوية علي الشريعة الطقسية

اهتم المسيح بالتقوى الشخصية الحقيقية، وأعطاها أولوية علي الشريعة الطقسية. من الدراسة السابقة، يتضح لنا أن الفريسيين كانوا محافظين، والصدوقيين كانوا أكثر تحرراً، ورغم اختلافهم، فالكل كانوا حرفيين فيما تمسكوا به.

صنَّف المسيح الشرائع -فى عهده- إلى شرائع جوهرية وهامشية، فالشرائع الجوهرية لها أهمية وأولوية على الشرائع الهامشية. ورفض المسيح التطرف الفكرى الذى ارتبط بالشريعة الشفوية، كما رفض الإرهاب الفكرى الذى ارتبط بتطبيق الشرائع.

وهاك بعض النماذج :

(١) رفض السيد المسيح الشريعة الحرفية بشأن يوم السبت، وأراد أن يكون السبت يوماً لعمل الخير

كان يوم السبت بالنسبة لليهود ركناً أساسياً لعقيدتهم وإيمانهم. اهتم كل اليهود، بكل فرقهم بتقديس يوم السبت. فالنص بالنسبة للسبت كشريعة ورد فى العهد القديم، كما وردت تفسيرات عديدة له فى الشريعة الشفوية للفريسيين. وكان الواضح أن كل طوائف اليهود تهتم بتقديس يوم السبت بحرفيته، ومفهوم التقديس أنه لا عمل.

فما عمله السيد المسيح كان ثورة صارخة ضد نظام عام، لمس كل اليهود، وكل فرقهم[٧٥]. وقد أثار هذا عليه السخط من جوانب عديدة.

---

(٧٥) Ainger , jesus our contemporary . p . 44

قام السيد المسيح يوم السبت، بشفاء صاحب اليد اليابسة (مت١٢: ٩-١٣و مر٣: ١-٥). أثار هذا كثيراً من السخط على المسيح. فقال المسيح لهم: "أى إنسان له خروف سقط فى حفرة، أفما يمسكه ويقيمه.. فالإنسان، كم هو أفضل من الخروف. إذاً، يحل فعل الخير فى السبوت" (مت١٢: ١١و ١٢).

ويحدثنا الإنجيليان (مت١٢: ١-٥ ومر٢: ٢٣-٢٨)، أنه، عند توجيه اللوم للمسيح، لأن تلاميذه قطفوا السنابل فى يوم السبت، وكان ذلك -فى نظرهم- مخالفاً للشريعة، اقتبس المسيح من العهد القديم، ما فعله داود الملك، حين جاع، هو والذين معه، كيف دخل بيت الله، وأكل خبز التقدمة، الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط. ثم علق المسيح أيضاً أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياءً.

كسر المسيح السبت، لكنه لم يقصد إهمال العبادة. فقد قصد تطوير مفهومنا عن السبت ليصبح يوماً لفعل الخير. ولم يقصد المسيح كسر كل الشرائع أو الطقوس، فهناك طقوس أو نظم لم يرفضها (لو١١: ٤٢). لقد أراد المسيح أن يحرر الناس من التقيد الحرفى المفرط بالقانون Legalism، فالتقيد الحرفى بالقانون ما أنقذ إنساناً، وما حرر مجتمعاً.

ولكن ثورة المسيح ضد النظام الحرفى لحفظ السبت، كانت -فى أعماقها- اتجاها جاداً ضد الحرفية، وضد الارتباط والتقيد المفرط بشريعة. كانت هذه الثورة هادفة، وجادة.

(٢) شاهد المسيح كيف استغل المنحرفون الشريعة الطقسية والحرفية وسيلة لإخفاء الانحراف والحقد والكراهية والانتقام

أخذ المسيح مثلاً: "من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به منى" (مت١٥: ٥، مر٧: ١١-١٣) والصورة هنا، صورة إنسان لا يكرم أباه ولا أمه، فما كان ينبغى أن يعطيه لوالديه، أعطاه قرباناً للهيكل. فمن الظاهر أنه تقى، لأنه يقدم للهيكل بسخاء، والواقع أنه شرير وكاره لوالديه، يريد الانتقام منهما.

وكان تعليق المسيح على هذا التصرف: "قد أبطلتم وصية الله، بسبب تقليدكم. يا مراؤون، حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلاً: يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه، ويكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً. وباطلاً يعبدوننى، وهم يعلمون تعاليم، هى وصايا الناس" (مت١٥: ٦-٩).

وقد صوَّر السيد المسيح، أن وراء أغطية من الشريعة الحرفية، يختص الاختطاف والخبث (لو١١: ٣٩)، والتجاوز عن الحق والمحبة (لو١١: ٤٢). ووصف هؤلاء بأنهم يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل (مت٢٣: ٢٤)، وأنهم يخفون الخشبة ويتحدثون عن القذى (مت٧: ١-٥).

فالحرفية المتشددة للقانون كثيراً ما تغطى وراءها الشر والانحراف. وللأسف، فإن كثيرين من المجرمين، اختبأوا وراء ممارسات حرفية، وانضموا لزمرة الحرفيين، ليُبعدوا عنهم الشك، فيما يمارسونه.

إلا أن المتدينين أنفسهم، من وراء اهتمامهم المتشدد بالمظاهر والحرفيات، فهم يخفون مشكلات داخلهم لم يعالجوها، كالكبرياء الروحية، والحقد والكراهية، وغيرها من معان، لا تكشف عن نفسها بسهولة، ولكنها تختبىء وراء مظاهر من التقوى الزائفة.

(٣) رفض المسيح تحويل الممارسات الصحية إلي قوانين دينية، تستخدم في الحكم علي الناس

حوّل اليهود الكثير من الممارسات العادية اليومية، صحية كانت أو اجتماعية، إلى قوانين وشرائع دينية. فهناك طعام طاهر وطعام غير طاهر. وقد رفض المسيح هذا (مر٧:١٥-٢٣). ورفض المسيح غسل الأيدى الطقسى الذى فرضه اليهود على الشعب (مت١٥:١٩و ٢٠). فقال "لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف هذه هى التي تنجس الإنسان، وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان".

والمسيح فى بيت الفريسى رفض أن يغسل يديه (لو١١:٣٧و ٣٨). وكان رفض المسيح هنا، رفضاً لنوع الشريعة التى وضعها اليهود.

هناك ظروف مجتمعية، فى العهد القديم، وضعت من القواعد الصحية نظماً فى الشريعة. وكان المبرر لذلك عدم تقدم العلم بعد. وتراجع ارتقاء الفكر الإنسانى. فلو عدنا إلى سفر التثنية (٢٣:١٣-١٤)، نجد حديثاً عن المرحاض وتكوينه، والإنسان قبل دخول المرحاض يكون غير طاهر، ووضع فى الشريعة كيفية تطهير الموقع بعد استخدام المرحاض البدائي للذكور. مثل هذه الشريعة كانت لها ضرورتها فى ذلك الوقت. ولكن بعد التقدم الصحى،

لم يكن للشريعة الإلهية أن تتداخل فى هذا. فالتقدم العلمى، والمفاهيم الصحية، هى - دون شك- من نعم الله على البشر.

وفى الفترة ما بين العهدين، استخدم الفريسيون شعباً من هذه الممارسات، وأعطوها صيغة دينية. وقد رفض المسيح اعطاء هذه الصيغة لشئون صحية. كما رفض السيد المسيح تحويل بعض هذه الممارسات إلى نظام طقسى. وقد تحدثنا آنفاً كيف كانت ممارسة غسل الأيدى تمارس طقسيا.

وما ينطبق على النظم الصحية، ينطبق على نظم المجتمع، وتقاليده، كمعاملة الكبار، والعرف السائد، إلى غير ذلك. أراد المسيح الارتقاء بالقيم الدينية، لتكون هى العلاقة بين الإنسان وربه، وهذه العلاقة تحكم القيم السائدة التى تدير سلوك الإنسان وتصرفه.

(٤) رفض المسيح أن تكون العبادة وسيلة للتعالي والتباهي والظهور

تحدث السيد المسيح عن الصدقة والصلاة والصوم. وراعه أن كثيرين يحبون الظهور متصدقين، أو صائمين، أو مصلين (مت٦:١-١٨). فأصر المسيح أن الصلاة تكون فى المخدع، والصوم خفية، والصدقة دون إعلام، ثم قال: أبوك الذي يرى فى الخفاء، هو يجازيك علانية. فالعلن يرتبط باستيفاء الجزاء، ويأتى من الآب. لكن الإنسان لا يتباهى بما يعمل.

ولا شك أن المسيح لم يمنع مثلاً الصلاة الجمهورية، أو الصوم الجماعى. لكنه أراد أن يعالج مشكلة أولئك الذين يتباهون بالممارسة الطقسية، دون

التمسك بجوهرها.

وتحدث المسيح عن إنسانين، صعدا إلى الهيكل ليصليا، واحد فريسى والآخر عشار. تحدث الفريسي عن تنفيذه للشريعة بحرفيتها، ثم نظر إلى العشار وقال إنه ليس خاطئاً مثل هذا العشار. أما العشار فقد كان يطلب المغفرة لأنه خاطىء. رفض المسيح أسلوب الفريسي المتكبر المتباهي، وقبل أسلوب العشار المتواضع المعترف (إقرأ لو١٨:٩-١٤).

من هذه النماذج، ومن غيرها من أحاديث السيد المسيح وأعماله نكتشف أن المسيح قدم قيماً جديدة، نحاول أن نراها، ونطابقها مع العصر الحاضر فى بلادنا.

قيم جديدة قدمها المسيح

من خلال الدراسة التى تقدمت، نرى أن السيد المسيح أرسى قيماً جديدة، للمجتمع البشرى، ليعيش بموجبها. تعارضت هذه القيم، مع مجتمع اليهود، واصطدمت مع القيادة اليهودية، فى مجالات عديدة.

هذه القيم ترسم أسساً أعمق للسلوك الإنسانى، سواء للأفراد أو للجماعات، كما تضع مبادىء رئيسية لتصرفات الدول والشعوب. ونحن نأخذ هذه القيم من حياة المسيح: أقواله وأعماله.

ولا شك أننا، عندما ندرس بأكثر عمق، نكتشف معانى أكثر وأعمق فى حياة المسيح، تقدم لنا نموذجاً رائداً للسلوك البشرى، ولكننا هنا نكتفى بالقيم التى نذكرها فيما يلى:

(١) أخطاء الاتجاه القلبى المنحرف أشر من خطايا الجسد

قال السيد المسيح: "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت٥ : ٢٠). قصد المسيح أن البر المطلوب ليس هو البر الذاتى بل البر الذى يتصف بعمق القيم فى نفس الإنسان.

تحدث المسيح عن قوم "يثقون فى أنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين" (لو١٨:٩)، وذلك عندما تحدث عن الفريسي والعشار، اللذين صعدا إلى الهيكل، فافتخر الفريسي بنفسه، وعبَّر عن احتقاره للعشار.

أراد المسيح أن تكون القيم التى لها المكان الأول، هى قيم العدل والمحبة والرحمة والإيمان (مت٢٣:٢٣). كان الرياء أشر ما تحدث عنه المسيح[٧٦]. كان المسيح متشدداً مع المرائين، فكان يردد فى حديثه لهم : "ويل لكم" (مت١٢:٣٤، ٢٣:٢٩) ووصفهم بالرياء (مت٢٣:٢٣و ٢٧)، وبالعمى (مت٢٣:١٦و ٢٤). وفى نفس الوقت وقف مع الذين عانوا بسبب خطايا الجسد. فكان متسامحاً مع الزانية التى أرادوا رجمها، فقال لهم: «من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر"، ثم قال لها "اذهبى ولا تخطئي أيضاً" (يو٨:٢-١١).

هذا هو أسلوب المسيح. والواضح أننا فى مجتمعاتنا اليوم، نتصرف كالفريسيين: قساة مع ضعفات الجسد، رحماء مع خطايا الكبرياء الروحية والرياء والإدانة. وهذا الأسلوب لا يرضى المسيح.

فكنائسنا مملوءة بكثير من البر الذاتى. وتجد الكثير من جماعات

---

(٧٦) Barclay , op. cit . p 136

المؤمنين يتحدثون عن برهم الذاتى، ويمارسون هذا البر بالحكم على الآخرين. من المشكلات الشائكة، للجماعات المتدينة، كثرة الحكم على الآخرين، لدرجة أن كثيراً من هذه الجماعات، تمزق نفسها إلى جماعات أصغر وأصغر، من كثرة الهجوم والانتقاد الداخلى.

وفى أماكن عديدة، تكونت جماعات صغيرة، منها مجموعات تجتمع فى بيوت. أغلق بعض هؤلاء على أنفسهم، لدرجة أن أحداً لا يقدر أن يدخل إليهم. ووضعوا لأنفسهم شرائع شفوية، يتناقلونها، ويستخدمونها للحكم على الآخرين. هؤلاء امتلأوا بالغرور، لدرجة أنهم ظنوا أنهم وحدهم هم الأبرار، وأنه لا بر خارج مجموعاتهم.

والمسيح، يعطينا النموذج الرائع، وهو يتحدث إلى المرأة، التى أمسكت فى ذات الفعل، ودون أن تتوجه إليه بالتوبة، قال لها: أما دانك أحد؟ وكأنه يقول لها "أنت حرة من دينونة الآخرين لك، حتى وإن كانت إدانتهم متمسكة بشريعة ما".

والذين يظنون في أنفسهم أنهم أبرار، أتقياء، مكرّسون، هل يفحصون ذواتهم، ليكتشفوا ما لديهم من غرور، وكبرياء، وتعالٍ، وإدانة للآخرين؟ إلى غير ذلك.

(٢) التقوى تبدأ داخل الإنسان. فلابد أن يتفق المظهر مع الجوهر، والشكل مع المضمون، والخارج مع الداخل

أراد المسيح تطهير الدافع الداخلى، فيتغير الخارجى طبقاً لذلك. لذا وجّه

المسيح اللوم للفريسيين قائلاً: "أنتم الآن أيها الفريسيون، تنقون خارج الكأس والقصعة، وأما باطنكم فمملوءاً اختطافاً وخبثاً" (لو١١:٣٩).

ثم قال لهم: "ولكن ويل لكم أيها الفريسيون، لأنكم تعشرون النعنع والسنداب وكل بقل، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله. كان ينبغى أن تعملوا هذه، ولا تتركو تلك. ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم مثل القبور المختفية، والذين يمشون عليها لا يعلمون" (لو١١:٤٢-٤٤).

ولكن الصورة التى يراها المسيح هي أن "الإنسان الصالح، من كنز قلبه الصالح، يُخرج الصلاح، والإنسان الشرير، من كنز قلبه الشرير، يخرج الشر" (لو٦:٤٥).

لهذا كان دور المسيح، هو توجيه الإنسان إلى أن يبحث عن الدوافع الأصلية الداخلية. فالقتل يبدأ بالكراهية، فأراد أن يمنع الكراهية. والزنى يبدأ بالشهوة، فأراد أن يمنع الشهوة (مت٥:٢٧و ٢٨)، والانتقام يبدأ بالخصومة، فأراد أن يمنع الخصومة (مت٥:٣٨-٤٢).

فالخطية، فى نظر السيد المسيح، هي خطأ اتجاه القلب. وهي أيضاً اختلاف المظهر عن الجوهر، الداخل عن الخارج. فالرياء هو أشر ما يرتكبه إنسان. فالذى يقول إنه ملحد -وإن كان هذا أمراً بغيضاً- إلا أنه أشرف من الذي يتظاهر بالتدين، وهو فى نفس الوقت ملحد. ومن يرتبط بالدين، بسبب مصلحة شخصية، كيهوذا الإسخريوطى، فمتى أحس أن فرصته

للانتفاع ضاعت، تحول بشدة وبسرعة.

أراد السيد المسيح تصويب الدوافع الداخلية، وتصحيح مسارها، وتقديس اتجاهها.وبهذه الطريقة، يكون الإنسان -عندما يتصرف- صادقاً مع نفسه، صادقاً مع غيره.

(٣) رفض المسيح الشريعة الشفوية

رفض السيد المسيح الشريعة الشفوية التى وضعها الفريسيون واستخدموها فى عصره، واعتبرها تطرفاً دينياً لا يجوز استمراره. وصف المسيح ذلك عندما قال لهم: "تركتم وصية الله، وتتمسكون بتقليد الناس" (مر٧:٨)، وسألهم المسيح قائلاً: "لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟" (مت١٥:٣).

وقد تحدثنا من قبل عن تفاصيل الشريعة الشفوية عند اليهود، كيف أنها كانت عند الفريسيين أقوى من الشريعة ذاتها، وأكثر أثراً. وقد قادت الشريعة الشفوية الشعب، عبر مرحلة هامة فى تاريخه. بل تطورت الشريعة الشفوية لتكون أداة للحكم على الناس: هذا بار، وهذا شرير، والبار هو الذي يطبق الشريعة الشفوية.

ولما كانت الشريعة الشفوية تمس ممارسات ظاهرية، وأعمالاً واضحة، فكان الضابط لدى الناس، هو حكم المظاهر لتطابق الشريعة الشفوية، أما الباطن فلم يكن يعرفه أحد إلا الله وحده. وكثيراً ما كان صاحب الشأن يتغاضى عن مشاعره الباطنة، فى سبيل إرضاء المظهر.

وامتدت خطورة الشريعة الشفوية، فكانت الحَكَم على المجتمع بأسره. فوصايا الشريعة عن يوم السبت، كانت تحكم المجتمع كله.

فالمجتمع -ككل- مطالب بتطبيق الشريعة الشفوية، وحفظ السبت. ومن يُشَاهد يمارس غير ذلك، يُحَاكم بقسوة. ولم يكن يجرؤ أحد على هذه الممارسة المخالفة، فمن يفعل هذا، يحكم عليه المجتمع كله بأنه شرير، هذا بالإضافة إلى عقاب الشريعة.

الشريعة الشفوية فى المجتمع المسيحى اليوم

الشريعة الشفوية مرتبطة بكل الأديان. فكل دين، نجد فيه نوعاً من "الفريسية"، يحيك له "شريعة شفوية"، مليئة بالتحليل والتحريم. فالفريسية أسلوب حياة، وأسلوب سلوك، تجدها فى كل الديانات. وفى كل دين، تجد أولئك الذين يتشدقون بتقوى ظاهرية، يحاولون تحريم وتحليل ما يشاؤون، فيحاولون تحريم ما يمكن أن يكون حلالاً، ويتشددون. وهم من جانب، يظهرون أمام الغير أتقياء، ومن جانب آخر، يحكمون على الغير. فيدّعون لأنفسهم بسلطات ليست لهم.

والكنيسة اليوم مليئة بتفاصيل عديدة لشريعة شفوية، أو قل، لشرائع شفوية. فالشرائع الشفوية عديدة، تختلف من مجتمع إلى مجتمع، ومن بيئة إلى بيئة. فهناك بيئات تحرم تناول الشاى، وهناك جماعات تحرم على أعضائها لبس دبلة الزواج، لمجرد أنها من ذهب، وليس الذهب فى نظرهم حلالاً.

فى بعض هذه البيئات، إن ارتدت البنت البنطلون فهذا حرام، وفى بيئات أخرى للبنت الحق أن ترتدى البنطلون أو الميني جيب. عند البعض مشاهدة التليفزيون خطية، وهؤلاء يرون أن دخول المسرح خطية أو دخول السينما خطية.

يصر البعض على أن النساء فى الكنيسة يغطين رؤوسهن، رغم أن هذا غير مطلوب خارج الكنيسة. ويشترط البعض أنواعاً من الملبس للنساء. بل يمتد الأمر إلى تحديد نظم وشرائع لأساليب التعامل مع النساء، ما هو مُرضى، وما هو غير مرضى. ويصل الأمر، فى بيئات ريفية، أن الرجل يتظاهر بأنه لا يتطلع إلى النساء.

فأنت ترى أن البيئة تتحكم فى وضع نظم وتفاصيل الشريعة الشفوية. فهناك مجتمع فريسي في قرية له مبادىء وقيم تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الشفوية التى يمكن أن تضعها جماعة أخرى فى حي راق في القاهرة أو الإسكندرية، على سبيل المثال. فإنه رغم أن الناس يدّعون أن الشريعة الشفوية دينية، إلا أن الاختلافات فى هذه القيم، توضح لك، أنها ليست دينية، لكنها بيئية. والبيئة، هي الحكم الحقيقي الذي يدلى بهذه الشرائع.

وليس غريباً أن نري أن ما يحدث فى الكنيسة اليوم، هو في نفس الطريق والاتجاه الذي كان سائداً فى المجتمع اليهودى. حيث كان الفريسي يمتدح نفسه، قائلاً: "يا إله آبائى، أشكرك لأنك جعلت نصيبى فى المدارس والمجامع وليس في المسارح والملاهى(٧٧). هذا نموذج من كثير مما يحدث

(٧٧) Edersheim . op . cit , p 32

اليوم فى كنائسنا. فالواضح أن ما كان يحدث من شرائع فى المجتمع اليهودى، لكثير منه نماذج فى المجتمع المسيحى.

ومن عجيب الأمور، أن ممارسات، لا علاقة لها بالإيمان المسيحى، أخذت صبغة دينية. خذ على سبيل المثال" ختان الإناث. فنحن لا نعرف تماماً من أين جاءت عادة ختان الإناث. هناك من يقولون إنه من أصل فرعونى، وهناك من يرون أنه من أصل أفريقي غير فرعوني، إلى غير ذلك. وهناك فئات ريفية تمارس ختان الإناث على أنه يحتوى صفة دينية.

فبعض تقاليد المجتمع المتوارثة، والتى أصولها غير مسيحية، تطورت على مدى الزمن، ومع دخول المسيحية، أخذت التقاليد المجتمعية صفة دينية تستمر. فالقيادات المسيحية الأولى، لم تهاجم بعض العادات المتوارثة فى عصورهم.

بل بعد دخول المسيحية فى دول عديدة، هناك عادات وتقاليد وفدت على المسيحية، في تلك الدول، أثرت على مسيرتها، فاختلطت بعاداتهم وتقاليدهم، وصارت جزءاً من تراثهم. فعلى سبيل المثال: كانت الكنيسة الأولى تتكون من ١٢٠ رجلاً وامرأة، يصلون فى علية واحدة. وفى عصور معينة، وجدنا الكنيسة المصرية تفصل بين الرجال والنساء. فالنساء جلسن فى مكان علوى فى الكنيسة بينما جلس الرجال فى صحن الكنيسة. ومع مضى الزمن جلس الرجال فى الجانب الأيسر من الكنيسة، بينما جلست النساء فى الجانب الأيمن، ووضعت الحواجز بين الطرفين، ولكنها أزيلت فى فترة متأخرة. ولا يزال البعض يعتبر هذه ممارسة دينية، وهى فى صميمها

ممارسة اجتماعية.

فعبر التاريخ وضعت شرائع أخذت من نظم المجتمع السائدة، وتقاليده المتوارثة، وأعطيت مسحة دينية، وهي لا علاقة لها بالإيمان المسيحي.

وهناك نظرية يهودية، انتقلت إلى الديانات الأخرى، وهي نظرية أن الدولة هي "أرض اليهودية". بمعنى أن الشريعة الشفوية ينبغي تطبيقها على المجتمع كله. فما يحرّمه فرد على نفسه، يحرّمه على غيره، وعلى المجتمع كله.

ولو عدنا إلي النظريات الفريسية، أن كل شعب الرب كهنة، وأن المجتمع كله يمثل شعب الرب، فحدود التعامل تقف سيفاً مسلطاً على كل المجتمع، يخضع الكل لها، سواء استراح أو لم يسترح. معنى ذلك، أن كل نظم الحياة الاجتماعية، صار لها لون ديني. من هؤلاء من حدد نظاماً للضحك، فهناك ضحك حلال، وضحك حرام!. إلى غير ذلك من التفاهات!.

ينتج عن ذلك مجتمع متشابه، يرغم فيه كل شخص أن يسلك كالآخرين. لا اعتراف بتنوع الأفكار والعقول، ولا اعتراف بتنوع الشخصيات. وانحصار الشخصيات لتكون نماذج تحاكي بعضها بعضاً، بحرفيات دقيقة، تخلق مجتمعاً غير متجانس، كله محاكاة، بعيد كل البعد عن الحقيقة، فالصورة التي نراها، شخصيات، مرغمة -سواء بالتلقين أو بالمحاكاة- أن نعيش على أسلوب معين، دون تفكير أو تقييم للموقف.

الحرية فى المسيح يسوع

لنا حرية فى المسيح يسوع. وقد تحررنا من الشريعة. "فقد متم للناموس بجسد المسيح" (رو٧:٤)، "فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا مُمسكين فيه، حتى نعبد بجدَّة الروح، لا بعتق الحرف" (رو٧:٦)، إذاً «لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨:١). ففى يسوع المسيح تحررنا من ناموس الخطية والموت، وصارت لنا الحياة فيه، وبه. ولهذا "فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس، بل تحت النعمة" (رو٦:١٤).

فإن كنا قد تمتعنا بالحرية فى المسيح يسوع، فكيف نعود بعد، ونبنى لأنفسنا، ناموساً جديداً، من صنعنا نحن، لكى نضع لأنفسنا ولغيرنا، قوانين عسرة الفهم، وعسرة التطبيق؟

وسوف نتعرض فيما يلى -بشىء من التفصيل- لفكرة ارتباط المسيحي بقيم أسمى من حرفيات شريعة. إلا أنه من الواضح أن المسيح قد حررنا، وبذلك صرنا أحراراً من القيود الحرفية للشريعة.

أما مظاهر "الفريسية المسيحية" التى غرقت الكنيسة فيها، فهى قيود لناموس جديد، أقامه هؤلاء، ليعوقوا الحرية التى لنا فى المسيح يسوع.

من يأكل ومن لا يأكل

نتعرض هنا لدراسة، جاءت فى العهد الجديد، تشرح لنا نظرية "الحرية التي لنا فى المسيح يسوع". فما هى هذه الحرية؟ وكيف نمارسها؟ وما

مكانها ؟

لقد ظهرت مشكلات عديدة، فى الكنيسة الأولى، كان من أكبرها، مشكلة الأكل من لحوم ذبحت للآلهة الوثنية. ونحن نحاول هنا أن ندرس كيف واجه الرسول بولس هذه المشكلة.

وهذه المشكلة -مشكلة الأكل من لحوم ذبحت للأصنام- ليست مشكلة فى مجتمعنا المعاصر. إلا أن معالجة الرسول بولس للمشكلة، يرينا كيف نواجه مشكلات من هذا النوع فى عصرنا الحاضر.

وقد تعرض الرسول بولس لهذه المشكلة فى رسالته إلى أهل رومية (رو١٤) ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠:٢٥-٢٨).

ولهذا الحديث خلفية. فقد نظمت الشريعة الشفوية اليهودية أن اللحم الذى يذهب للعبادة الوثنية غير محرم، لكنه من دخل، وخرج صار محرماً، لأنه استخدم ذبيحة لإله ميت[٧٨]. وهنا نكتشف أيضاً، كيف أن مشكلات خرجت من اليهودية، استمرت فى المسيحية. ففى اليهودية، كانت المشكلة هى الصراع بين شعب الله المختار والأمم، أما فى المسيحية، فكان لها مدخل آخر. فكثيرون من الذين تعبدوا للوثنية، دخلوا الإيمان المسيحي. ورغم اختلاف الموقفين، فالمشكلة متشابهة.

وقد ظهرت رومية، وفى كورنثوس مشكلة الأكل مما ذبح للأوثان. فكلما كانت المشكلة قائمة فى اليهودية، انتقلت إلى المسيحية. فالواضح أن

---

(٧٨) المرجع السابق. ص٢٧

الذبيحة، كانت تذبح باسم إله وثنى. وكانت المشكلة، أن التعاطف الإنسانى، مع عبادة الوثن التى عاش فيها الإنسان سنين عمره، قد يرى اللحم، ويعود لعبادة الوثن.

من هذا كانت فكرة أكل اللحم، لا مجرد شئ طارئ، سطحى، بل أمر هام جداً، يمس استمرار الإنسان فى إيمانه المسيحي، أو عودته للوثنية.

قال الرسول بولس : «واحد يؤمن أن يأكل كل شئ، وأما الضعيف فيأكل بقولاً» (رومية ١٤: ٢). فلم يرفض الرسول الذى يأكل، ولم ينتقد الذى لا يأكل. ولم يرسم الرسول شريعة معينة. فترك الرسول الحرية لكل فرد أن يختار ما يريد وأن يرفض ما يريد. وللإنسان أن يختار ويحكم على نفسه.

قال الرسول بولس: «طوبى لمن لا يدين نفسه فى ما يستحسنه. وأما الذى يرتاب، فإن أكل يدان» (رومية ١٤: ٢٢و٢٣). فالإنسان يحكم على نفسه. إن استراح يأكل، وإن لم يسترح لا يأكل. **هذا هو مضمون أنه لا شريعة فى المسيحية.**

والمنطق الذى يشرحه الرسول، أن الاختيار شخصي، فالذى يشعر، بأنه لو أكل اللحم، الذى ذبح للأصنام، تتحول ميوله، وهو يأكل، فيشعر أنه عاد يمارس العبادة الوثنية فالأفضل، لهذا الشخص أنه لا يأكل مما ذبح للأصنام. فنفس الأكل مما ذبح للأصنام، كان عندهم، هو العبادة ذاتها. أما الذى يجلس على مائدة الطعام، ويشعر بأنه قوى، فى إيمانه المسيحى، وأن الأكل لن يعطيه مشاعر العبادة الوثنية، فله أن يأكل.

لا يزدر ...لا يدن

لنا حرية فى المسيح يسوع، ولكل واحد الحرية أن يأكل أو لا يأكل من اللحم الذى ذبح للأصنام. «لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل، ولا يدن من لا يأكل من يأكل، لأن الله قبله» (رومية ١٤:٣). يوضح الرسول بولس هنا، أن الذى يحرِّم الأكل مما ذبح للأصنام يحرِّمه على نفسه، ولا يجوز له أن يحرمه على الغير.

والمشكلة هنا هى أن الذي لا يأكل مما ذبح للأصنام، يكون بذلك قد أطاع الشريعة الشفوية، وتمسك بالأسلوب المتزمت، فهو بار، ومتدين، وتقى في نظر نفسه. أما الذي يأكل مما ذبح للأصنام، فهو حر، قوى في الإيمان، متفتح، له القدرة على الحفاظ عل إيمانه دون تراجع. إنه يجلس، ويأكل، ولا يشعر بأي تعاطف يعيده للوثنية.

والرسول لا يلوم واحداً منهما. فهو يري أن الأسلوبين سيستمران معاً. سيتواجد عبر التاريخ من يأكل ومن يرفض أن يأكل. سيكون فى الكنيسة في عصورها المختلفة المتزمت والمتحرر. سيعيش الاثنان معاً. والرسول يريد أن يتركهما يعيشان معاً.

لكن العلاقة بين الاثنين هي المشكلة. فالذي لا يأكل مما ذبح للأصنام، يريد أن يدين الآخر لأنه أكل. وبذلك يسمح لنفسه أن "يجلس على كرسى موسى" (مت٢٣ :٢)، لكى يحكم على غيره، وليس له أن يمارس هذا. أما الذي أكل مما ذبح للأصنام، فهو مُجرَّب بأن يزدر ويحتقر، ذاك الحرفى الذي رفض أن يأكل.

ويؤكد الرسول أنه لا يجوز أن يدين واحد الآخر، أو يزدر واحد الآخر، بل يحترم كل واحد الآخر، رغم اختلافهما فكراً وسلوكاً.

ثم يقول الرسول: "من أنت الذي تدين عبد غيرك، هو لمولاه يثبت أو يسقط، ولكنه سيثبت، لأن الله قادر أو يثبته" (رو١٤:٤).

وناقش الرسول بولس قضية أخرى مشابهة: "واحد يعتبر يوماً دون يوم، وآخر يعتبر كل يوم" (رو١٤:٥)، ويلح الرسول بولس أن التنوع هنا ليس حلالاً وحراماً، لكنه يمثل الحرية الشخصية التى لنا فى المسيح يسوع. والرسول يندهش لأشخاص، لهم حرية فى المسيح، لا يمارسونها، أو أنهم، لا يريدون ممارستها، بل أسوأ من ذلك، يريدون أن يحكموا على أنفسهم بالقيود لا بالحرية.

بل يتوسع الرسول بولس فى حديثه، لأكثر من ذلك، عندما يقول: "كل ما يباع فى الملحمة، كلوه، غير فاحصين عن شيء، من أجل الضمير". (١كو.١٠:٢٥). ثم يكرر القول: "وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم، وتريدون أن تذهبوا، فكل ما يقدم لكم، كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير" (١كو.١٠:٢٧).

وكأنى بالرسول يقول، إنه ليس هناك ما يدعو، لأن نفتش عن المصادر، التى تحولنا إلى قضايا لا داعى أن ندخل أنفسنا فيها.

فالمشكلة هنا، أن الحرفى، قد يظنها تديناً أعمق، إنه يبحث عن مصدر اللحم، هل ذبح للأصنام أم لا. وهو يعمل ذلك قبل أن يأكل منه. وهو يبين

من هذا قمة التقوى. فمتى وجد أن هذا اللحم ذبح للأصنام، فهو يرفض أن يتناول منه. ويحذر الرسول بولس من مثل هذا التصرف. فإن كان أمامك لحم، وأنت تجلس لتناول الطعام، فالأكل منه لا يدفعك للتجربة.

وقول الرسول بولس: "من أنت الذى تدين عبد غيرك؟" قول رادع. فالذي يأكل من اللحم، ليس عبداً لك، ولا سلطان لك عليه. فلماذا تدينه؟ إنه عبد غيرك، إنه عبد لله. والله وحده هو الذى يدين أو يبرر. والرسول بولس يحدد بصراحة ووضوح أنه ليس لأحد أن يدين غيره.

ومن منطلق هذا الفكر، نرى الحرية التى لنا فى المسيح يسوع. فالفرد مسئول أمام الله مباشرة. ليس لفرد آخر أن يحكم عليه. والإنسان، الذى هو عضو فى جماعة، ليس للجماعة التى ينتمى إليها أن تحكم عليه فى مثل هذه الأمور، فالحكم هو لله وحده.

ولعل الرسول بولس، يريد أن يوضح أن ضمير الإنسان الشخصى هو الحكم. فليس لإنسان أن يحكم على ضمير آخر. فإن استحسن ضمير إنسان أن يتصرف تصرفاً معيناً، فضميره هو الذي يحكم عليه.

وقد قال السيد المسيح: "لا تدينوا لكى لا تدانوا. لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. ولماذا تنظر القذى الذي فى عين أخيك، وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها." (مت٧: ١-٣).

الذين يضعون الشريعة الشفوية، فى كنيسة اليوم، يستخدمون بكثرة وبإسراف كلمة "عثرة"، ويكررون القول: "لا تكن عثرة للآخرين". وكلمة "عثرة" تستخدم لمعانى عديدة، غير المعنى الوارد فى كلمة الله. ولعلها صارت سيفاً مسلطاً، يمنع الناس من تصرفات معينة، باسم "العثرة".

ونحن نعود هنا لنرى كيف ناقش الرسول بولس قضية "الإعثار"، وما هو المعنى الذى قصده الرسول. ومن خلال هذه الدراسة يمكننا أن نسترشد بالمعنى المتضمن فى العثرة، وكيف نفهمها ؟

ففى نفس استعراض مشكلة الأكل مما ذبح للأوثان، قال الرسول بولس: "فإن كان أخوك، بسبب طعامك، يُحزَنْ، فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تُهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله" (رو١٤: ١٥). ثم قال: "حسن أن تأكل لحماً، ولا تشرب خمراً، ولا شيئاً يصطدم به أخوك، أو يعثر، أو يضعف" (رو١٤: ٢١).

يوضح الرسول بولس أن التزام المحبة للأخ، يدفعنا أن نهتم به. فهناك مسئولية أدبية وروحية، بين الأخ وأخيه. فإن كان ما يعمله واحد، يسبب عثرة للآخر، فالتزام المحبة يدفع الأول أن يغير من تصرفه، حتى لا يُوقع بالآخر، ولا يسبب له مشكلة.

والالتزام هنا التزام محبة. فلا إرغام فيه. ولا يجوز تحويل المحبة إلى إرغام. إلا أن المحبة مسئولية شخصية. والإنسان، من نبع قلبه المحب

يتصرف بما لا يعثر الآخر.

ونحن هنا نعود للأكل مما ذبح للأصنام، ونرى كيف أراد الرسول بولس أن يعالج المشكلة، بين القوى والضعيف، فى الإيمان، وكيف نظر القوى للضعيف وهو يمارس تصرفات ترتبط بإيمانه القوى.

لابد لنا أن نوضح أن الرسول بولس أكد على أن الأكل مما ذبح للأصنام لا غبار فيه. قال بولس: "الذي يأكل للرب يأكل لأنه يشكر الله" (رو١٤:٦). ثم يقول: "لماذا يُفترى عليَّ لأجل ما أشكر عليه، فإذا كنتم تأكلون أو تشربون، أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١كو.١٠:٣١و ٣٢). وفسر الرسول بولس ذلك، أن الإله الوثنى أساساً غير قائم، ولا وجود له. فالرب -إلهنا- هو مالىء الأرض وهو الإله الأوحد "لأن للرب الأرض وملأها" (١كو.١٠:٢٦). فالذبح للأصنام، هو ذبح لغير الموجود.

أما مشكلة الإعثار، فهى شىء آخر. فإنه رغم عدم وجود الإله الوثنى، وإمكانية الأكل مما ذبح للأوثان، إلا أن شخصاً ضعيفاً، لو أكل مما ذبح للأوثان، عاد بعواطفه إلى إيمانه القديم، وأنكر المسيحية. فالمقصود بالعثرة هنا، ممارسة شىء، يدفع الضعيف إلى ترك الإيمان. فعندما يقول الرسول: "لا تُهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله" (رو١٤:١٥)، فإنه يقصد أن العثرة، هى ذلك التصرف الذي يدفع الآخر إلى التهلكة. فالعثرة يُقصد بها، أن شخصاً يتصرف تصرفاً، لا يضره هو، ولكن لو مارسه ضعيف الإيمان، لترك الإيمان.

فلو أخذنا مثلاً، مشاهدة مسرحية فى مسرح دنيوى. وهناك شخص

ضعيف الإيمان، لو عرف أنك -كقوى فى الإيمان- شاهدت مسرحية، فماذا يحدث له؟ لا شيء. إن أراد هو أن يشاهد المسرحية، فالمسرحية لن تجعله يترك الإيمان. ولو افترضنا مثلاً، أن القوى، فى بيته تليفزيون. فما المشكلة. لو أراد الضعيف أن يشترى التليفزيون، ويشاهده، فهذه لن تدفعه لأن يترك الإيمان. الإيمان الحقيقي، يدفعك -لا للتحريم والتحليل- بل للاعتدال فى الاختيار، فتختار من التليفزيون ما تشاهده، وما لا تشاهده. أو تتدرب على توزيع وقتك، بين مشاهدة التليفزيون، وعمل شيء آخر.

إلا أن أرباب الشريعة الشفوية، يستغلون فكرة "العثرة" سيفاً مسلطاً على رقاب الناس، لكى يثبتوا أهمية الشريعة الشفوية التى ينادون بها، فيحملون الناس، أشياء عسرة الحمل، لا يطالب الإيمان بها.

لقد كان المسيح حراً، بالمقارنة مع يوحنا المعمدان. قال يسوع نفسه فى هذه المقارنة: "جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً، ولا يشرب خمراً، فتقولون: به شيطان. جاء ابن الإنسان، يأكل ويشرب، فتقولون: هوذا إنسان أكول، وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة" (لو٧:٣٣و ٣٤). واضح من حديث المسيح، أن للمعمدان أسلوباً، يختلف عن أسلوبه. فالمعمدان نسكى، كان يخرج إلى البرية، يعيش فيها، له ملبس متقشف، ومأكل محدد. كان يعيش بمعزل عن الناس. لم يرفض المسيح أسلوب المعمدان، ولم يهاجمه. والمعمدان لم يطلب من الناس أن يتمثلوا به أو يحاكونه.

أما أسلوب المسيح فكان أكثر تحرراً. كان يجالس الأبرار والأشرار، ولم يرفض الخطاة الذين رفضهم المجتمع. كان يأكل بحرية ويشرب بحرية،

ويشارك المجتمعات التى يجلس فيها المأكل والمشرب. فاتهمه، الذين اعتبروا أنفسهم أبراراً، بأنه "أكول وشريب خمر" وبأنه "محب للعشارين والخطاة". وجهوا له اللوم. فكيف يكون المسيح متديناً، وهو يعمل هذا ؟ وقد صرح المسيح بأنه يعرف هذه الاتهامات التى توجه إليه، ولم يهتم بها.

يجوز لمن يريد أن يختار أسلوب المعمدان، فى المعيشة، ولكنه لا يجوز له أن يظن أن هذا الأسلوب هو القداسة أو البر والتقوى. ويجوز لمن يريد أن يختار أسلوب المسيح. فالأسلوب فى العيشة، هو اختيار شخصى. أما القيم الإيمانية التى تحكم سلوك الفرد، قيم الحق والعدالة والمحبة، هى القيم التى يعتمد عليها. ولا يجوز أن يدين واحد الآخر، أو يزدر واحد بالآخر، لأجل أسلوب معيشته.

لا تخلط الأوراق

هناك قيم اجتماعية وصحية، تحولت إلى قضايا دينية، من خلال الشريعة الشفوية، لا يجوز خلطها. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

ينادى البعض بأن كل ما يضر بالصحة خطية. فهناك شخص ينصحه الطبيب بألا يأكل الحلويات لأنها تضر بصحته. فهل نحسب الحلويات خطية؟ إن المهام الصحية صحية، لا نحسبها خطية. والإنسان العاقل يراعى صحته.

هل من مصلحة الإيمان المسيحي أن نربطه بعوامل الصحة؟ أليس الأكرم للإيمان أن يبقى مرتبطاً بالقيم الأصيلة للحياة الإنسانية، قيم الحق والعدالة

والمحبة والرحمة؟ لماذا تقلق من الإيمان، بأن نربطه بأشياء صحية أو معيشية عادية؟

آخذ مثلاً آخر، هو "ملابس النساء". فلملابس النساء قدراً كبيراً في مجتمعاتنا، من الشرائع الشفوية المتداولة، والتي تتحكم في المرأة، وفي اختيارها لملابسها. بل إن كثيرين من الوعاظ، يتشدقون بربط التقوى بملابس المرأة. والواقع أن كثيراً من الفساد، يرتبط بالملابس التي يدّعون أنها محتشمة. وكم من فساد يقع وراء الحجاب والبرقع؟!

فملابس النساء -كما الرجال- ترتبط بتقاليد المجتمع وعاداته وحضارته. فأنت تجد امرأة تلبس ملابس تساير العصر، وتعيش في مجتمع يعتبر ملابسها عادية. لكن ملبسها هذا، لا يقبله مجتمع آخر. فالحكم الحقيقي، هو رأي المرأة شخصياً، وكيف ترى نفسها في ملابسها، في المجتمع الذي تعيش فيه. والواضح، أن المرأة لن تقبل -بسهولة- أن تلبس ما يسيء إليها، أو يشوه سمعتها.

وهناك مجتمعات، تختلط فيها التقاليد. فالواضح أن مجتمعات حضارية تشهد فيها مستويات متنوعة من البيئات. بل إنك تشهد هذا، حتى في مجتمعات ريفية. ففي مجتمع ريفي، ترى الفلاحة بملابسها التقليدية، وترى طالبة، أو طبيبة بملابس متحضرة، والكل يعيشون معاً، في مجتمع واحد. ومن حق المرأة أن تختار لنفسها، ما تستريح إليه من ملابس.

فالتقاليد المجتمعية التي نتحدث عنها، لا ترتبط بنموذج واحد، وإنما تهدف للأفضل. والواضح، أن الملابس -مع الحضارة- هدفها، أن يكون

الجسم مستريحاً، فتعاون الجسم على الحركة والعمل، وتقلل المعوقات التي تعوق الجسم عن العمل النشيط. وملابس الرجال أو النساء، هى الملابس التي تعاون كل طرف أن يكون لائقاً، مقبولاً من الجميع.

فلماذا نحول هذه المشكلة، لتصبح قضية دينية؟ وكيف نعلل بأن فستاناً ما من ترتديه خاطئة، وفستاناً آخر من ترتديه بارة؟ لماذا لا نترك الأمر للقرار الشخصى، فى مواجهة مجتمعه؟

عاش المسيح فى عصر ازدهار الحضارة اليونانية، ومجد الدولة الرومانية. ولم يوجه المسيح لوماً للمسرح، ولا لملابس المرأة. وفى عصر الرسول بولس، تحررت المرأة المسيحية. فلما أرادت المرأة أن تخرج فى المجتمع عارية الرأس، نصح الرسول لئلا يحدث خلط بين المؤمنات المسيحيات والعاهرات، فالعاهرات فى المجتمعات اليونانية خرجن إلى الطريق عاريات الشعر.

سر شعبية الشريعة الشفوية

للفريسية شعبية فى كل مكان، وفى كل دين. فالفريسية سهلة. تدفع إلى الحياة السهلة. وبالتالى فالشريعة الشفوية سهلة، لا تأخذ وقتاً من الإنسان للتفكير والجهد. يريد الناس أن يعرفوا، ما هو حلال، وما هو حرام. إن وجود المشرع والمفتى، فى كل مكان، يوضح للناس ما يعملونه، وما يرفضونه، أمر مريح جداً. وهناك أناس يتطوعون - فى كل مجتمع- أن يقوموا بوظيفة المفتى لمجتمعاتهم.

والوعظ الفريسي سهل. فمن السهولة بمكان، أن يتحدث واعظ عن الحلال والحرام. لا يحتاج لإعمال الفكر، لاكتشاف المعانى والقيم عميقة المعنى. وهناك مستمعون يُسعدهم ذلك. فهم يسمعون، دون أن يفكروا ويتعمقوا فيما يقال.

ترافق الشريعة الشفوية، كبرياء روحية، تعطى الإنسان سعادة عارمة. فالأصولية، والمظاهر التطهرية، ترافقها كبرياء مع روح التعالى.

ولما كانت هناك عادة سيئة عند البعض وهى أن يحكموا على غيرهم، فالشريعة الشفوية وسيلة رائعة. وقد ظهر أمراء عديدون، يحكمون فى جماعات عديدة من المسيحيين، يسلطون عليهم شرائع شفوية متنوعة، غزت مواقع كثيرة، وأضر بأصحابها. فقادة الجماعات يريدون أن يمارسوا القيادة والسلطة، والشريعة الشفوية تعاونهم على ذلك. كما أن رغبة كثيرين من الناس، أن يكونوا تابعين، تدفع القادة لممارسة سلطاتهم.

وقد أحس كثيرون -عبر التاريخ- بأن قيم المجتمع وسلوكياته. وتقاليده وعاداته، تكون أقوى لو أنها ربطت بالدين. وبذلك يحكم المجتمع أفراده بقيم، حولها إلى قيم دينية، ليكون الحكم باسم الله.

أما تحديد المشكلات، ودراستها، واختيار الأسلوب الشخصى فى السلوك، وحمل المسئولية شخصية لتصرفات الفرد، فهو أمر صعب، ويحتاج لجهد وتفكير.

وهذه هى نفس المشكلة فى اليهودية. فالشريعة الشفوية فى المسيحية،

(أو فى الإسلام) نابعة من اليهودية. وطريقة صياغتها، أو وصفها، مشابهة كثيراً، فى جوانب عديدة منها، لما فعله اليهود.

الفريسية أسلوب حياة

ليست الفريسية مجرد مدرسة فكرية ظهرت فى اليهودية فى حياة المسيح، فحسب، بل هى مدرسة متواجدة فى الكنيسة عبر عصورها.

والفريسية، موجودة فى كل الديانات، وبالإضافة إلى ذلك، فهى أسلوب حياة متواجدة فى المجتمع الدنيوى. فنحن نرى الفريسية، أسلوباً لنظم حياتية. فكل من يهرب من روح النظام إلى حرفيته، فريسى. وكل من يستغل الدين، ويجلس على كرسى موسى للقضاء، ليحكم على الآخرين، دون أن يحكم على نفسه، فهو فريسى. فالفريسية، تدفع إلى التعالى، وتعطى صاحبها شعوراً بالغرور، والكبرياء على الغير، من متعة الحكم على الآخرين. والفريسية هى التى تقف وراء الروح السيئة، والنفسيات المريضة، والعقول المنغلقة التى فى المجتمع. هؤلاء هم، الذين يحولون الهامشيات إلى أصول، والسطحيات إلى جوهر الأمور.

تعليق ختامي

لقد أطلنا الشرح فيما يختص بالشريعة الشفوية، واقتبسنا تطبيق الرسول بولس لأقوال السيد المسيح فى قضايا واجهت الكنيسة الأولى، باعتبارها نموذجاً لما يقابلنا اليوم.

ونحن لا ننكر، أن نظرية كهنوت جميع المؤمنين، نظرية عامة، شملت

الشعب قديماً، وتشملنا اليوم. فقد جعلنا ملوكاً، وكهنة. ولكن الكهنوت هنا، كهنوت الممارسة العادية، للحياة الإنسانية، دون تكلف. فالفريسيون يسيئون فهم المعانى، ويحولونها -قسراً- إلى شرائع. ونحن لسنا فى حاجة إلى ذلك.

الفريسية، هى أساليب السلوك التى لم يرض المسيح بها. كان المسيح يواجه الفريسيين بالقول: "ويل لكم". أحس المسيح على الدوام، بأن أسلوب الفريسيين لا يتفق مع الإيمان. فكان القدر الكبير من أقوال المسيح خاصاً بهم.

(٤) جدد المسيح الشريعة وأكملها

ماذا فعل المسيح تماماً بالشريعة اليهودية؟ لقد كان العهد القديم، هو الكتاب المقدس المتاح والمتواجد فى عصر المسيح. وكان وحده المرجع الرئيسى فى الوحى. أضاف الفريسيون إلى ذلك الشريعة الشفوية لتكون مرافقة للوحى. فماذا عمل المسيح؟

جاء المسيح لا لينقض الشريعة، بل ليكملها. ليس معنى ذلك الإبقاء على كل شريعة العهد القديم. فالإكمال معناه التجديد الشامل، والارتقاء بالشريعة إلى أسمى مضمون.

جاء يوحنا المعمدان، يدعو للتوبة فى البرية، ويعمد معمودية التوبة. وجاء الناس يعتمدون من يوحنا المعمدان. لم يمارس المعمدان نظام الذبائح. فالتوبة هنا لم تشترط نظام ذبائح، كما أوصت شريعة موسى. وجاء المسيح

يدعو للتوبة، على نفس النحو الذي دعا إليه المعمدان. ولم يطلب المسيح تقديم الذبائح للتوبة. وبذلك أكمل المسيح مبدأ "التوبة" وألغى نظام الذبائح في العهد القديم بكامله.

وتحدث السيد المسيح عن نفسه بأنه أعظم من الهيكل. وبذلك غيَّر المسيح مضمون العبادة. فالإنسان يأتي إلى الله تائباً، والله يغفر له خطاياه، دون حاجة للعودة إلى طقوس العهد القديم، وفرائضه. والإنسان يتعبد لله، من خلال أسلوب جديد، لا يرتبط بالشريعة القديمة. وبذلك أكمل المسيح نظام العبادة، وحدد علاقة الإنسان بخالقه، من خلال مضمون جديد وأسلوب جديد.

كان تلاميذ المسيح لا يصدقون الصيامات التي وردت في الشريعة الشفوية (مر٢:١٨-٢٠، مت٩:١٤و ١٥).

وعندما سئل السيد المسيح، ذكر هذين المثلين:

"ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة، على ثوب عتيق. لأن الملء يأخذ من الثوب، فيصير الخرق أردأ"

"ولا يجعلون خمراً جديدة، في زقاق عتيقة، لئلا تنشق الزقاق، فالخمر تنصبّ، والزقاق تتلف. بل يجعلون خمراً جديدة، في زقاق جديدة، فتحفظ جميعاً" (مت٩:١٦و١٧).

أراد السيد المسيح أن يوضح، أن وضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق، لن تحل المشكلة. فالثوب العتيق ينكمش أكثر مع الاستعمال

والغسيل، فيظهر الخرق أردأ، لأن قطعة القماش الجديدة، لن تتأثر كما يتأثر القماش القديم.

ثم تحدث السيد المسيح عن الخمر والزقاق. والزقاق هو "القِربة" المصنوعة من جلد الماعز، والتى كانت تستخدم فى عصره، لتعبئة الخمر. وجلد الماعز عندما يصير قديماً، يجف، ويكون غير قابل للتمدد. لكنه، وهو جديد، يكون مرناً، قابلاً للتمدد حسب الحاجة.

والخمر الجديدة يتم الاحتفاظ بها فترة من الزمن، والقربة القديمة، لا تقبل التمدد الناتج عن التخمر، فتتشقق القربة، ويتسرب الخمر. أما الخمر الجديدة فتوضع فى القربة الجديدة، حيث المرونة الكافية للتمدد.

كان السيد المسيح يجيب عن سؤال عن الصيامات التى كانت قائمة فى عهده. فأراد المسيح أن يوضح مدرسته الفكرية. فقد جاء ليكمل. وذلك بمعنى "الكمال". فلابد من خمر جديدة فى وعاء جديد. وتعليم المسيح هنا، بمثابة الخمر الجديدة، التى لابد لها من وعاء جديد. فالفرائض والطقوس والنظم القائمة فى عهده، انتهت كلية، وبدأ نظام جديد، هو "الكمال" بعينه.

كما أراد المسيح أن يوضح، أن تعاليمه ليست رقعة جديدة، على ثوب اليهودية القديم. فلابد من ثوب جديد.. جدة كاملة شاملة، ترسم الطريق الجديد.

عندما تحدث السيد المسيح عن إنسانيته صعد إلي الهيكل، وجه اللوم لمن طبق الشريعة حرفياً، ولم يوجه اللوم لمن لم يطبق الشريعة، لأن الحكم

ليس فى تطبيق الشريعة، بل فى الشعور بالحاجة إلى الغفران (لو١٨:٩-١٤).

وعندما شفى السيد المسيح صاحب اليد اليابسة في السبت (مت١٢:٩و ١٠، مر٣:٤)، فإنه وضع نظاماً جديداً، أن السبت يوم لعمل الخير.

فالسيد المسيح جدّد الشريعة، بأن أكملها، وسنرى فى موضع لاحق من هذه الدراسة، مكان الشريعة عند المسيح.

ولابد لنا من أن نوضح، أن العهد القديم هام جداً، لأنه الطريق إلي المسيح، ولكن أسلوب المسيح هو الدعوة الحقيقية الوحيدة اليوم. فلا يجوز لنا أن نطبق شرائع العهد القديم لليوم. يمكننا أن نستفيد منها، طريقاً للفكر، واتجاهاً لإعلان المسيح.

كما أنى هنا، أعود فأقول، إن تجديد الشريعة، مهمة خطيرة. فتجديد الشريعة، كان يرتبط بالمجتمع الذى عاش فيه المسيح. ومن هذا نرى الاتجاه الفكرى للمسيح، الذي يتقدم فى تطبيقه مع تقدم المجتمع، والعلم، والإدراك البشري. ونحن نستنبط "الاتجاه" الذى سار فيه المسيح، لنسير فيه، ونتقدم.

ثأر المسيح دفاعاً عن كرامة الفقير والمظلوم والشرير وحقوق المرأة

تمهيد

كانت الطبقية سائدة فى العصر الذى جاء فيه السيد المسيح إلى العالم، فهناك فئات السادة والعبيد، الأغنياء والفقراء، الأبرار والأشرار، الرجال والنساء.

وتستخدم كلمة "فقير" للإشارة إلى الجائع، والعاطل، والمطحون، والذى لا يمتلك شيئاً (لو١٤: ٢١-٢٣)، والعريان، والشحاذ، والمديون (مت١٦: ٢-٥)، والحزين، والمتألم، والسجين، والمظلوم، واليائس، والمريض (خاصة مرض البرص).

وفئة الخطاة، فى عصر المسيح، كانت تصنَّف طبقة اجتماعية. وكانت الفكرة، أن أولئك الخطاة مصيرهم إلى الجحيم، ولا مغفرة لهم. لذا نظر "الأبرار" إلى الخطاة على أنهم طبقة أقل من المستوى المحترم.

وفئة النساء، فى عصر المسيح، كان محكوماً عليهن، بأنهن طبقة أدنى من طبقة الرجال، ومركزهن فى المجتمع كان مركزاً محتقراً.

لذلك، فإننا فى هذا الفصل نعالج ثلاث قضايا: ١- قضية الفقراء.

٢- قضية الخطاة، ٣- قضية المرأة.

١ - قضية الفقراء

عايش السيد المسيح الفقراء، فقد كان فقيراً مثلهم. كانت مشكلة الفقر تواجه المسيح، وتلقى منه اهتماماً أكثر بكثير من مشكلة الفريسيين والصدوقيين. كان المسيح يهتم جداً بالمتألمين، والمهمشين، والمظلومين، والمديونين، والذين لا مأوى لهم. فعندما اختار المسيح، من يتعامل معهم ويدافع عنهم، اختار الفقراء.

عاش السيد المسيح نفسه، بدون أسرة تحميه، وبدون بيت، وبدون إيراد ثابت، وبدون مستقبل (لو٩:٥٨).

وفى عصر المسيح كان الفقراء يمثلون الغالبية العظمى من الشعب. فكانت نسبة قليلة من الشعب تمثل الأغنياء. وقد ارتبط الغنى بالكهنة اليهود، كما تواجد فى المجتمع بعض الأغنياء، وكانوا أقلية. عاش عامة الشعب يعانون.

وفى الدولة الرومانية تواجد (٢...) من اللوردات، كان لهم (١,٣٠٠,...) عبد، وفى عصر المسيح كانت الدولة الرومانية شاسعة الأطراف، يقال إن عدد العبيد فى ربوعها بلغ ستة ملايين[٧٩].

رفض المسيح أن تكون هناك علاقة بين "المرضى" و "الخطية"، أو بين "الفقر" و "الخطية". فالفقر ليس خطية، والمرض ليس دائماً وليد الخطية[٨٠]

(٧٩) Pentcost . op . cit P.536.

(٨٠) المرجع السابق. ص٢٨٩

كانت مشكلة الفقراء -فى عصر المسيح- مشكلة كبيرة. ولعلنا نشاهد نفس المشكلة اليوم، فى كثير من الدول. فالفقراء يمثلون الغالبية. ومع ارتفاع أسعار المعيشة، وتطور العصر، وزيادة غنى الأغنياء، فإن الفقراء تزيد معاناتهم كل يوم، ويزيد سوء حالهم.

ونحن نشهد الفقر متمثلاً، ليس فى الفقر المادى فحسب، بل فى الجوع، والمعيشة فى مناطق مليئة بالأمراض المتوطنة وغيرها، ومعاناة الظلم، وبطش أولى السلطة أو الأغنياء أو كليهما، إلى غير ذلك. والأمية مشكلة طاحنة، خاصة أمية المرأة. وهى التى جعلت المرأة تعانى، ولا تقف فى مصاف الرجال فى مجتمعات عديدة. وكم من أسرة تواجه أزمات القوت اليومى، فللأسرة أطفال عديدون قد يصلون إلى سبعة أطفال أو أكثر، وليس لها ما يكفى لطفل واحد. ولن تقدر هذه الأسرة أن تعطى أى طفل منهم ما يعاونه على حياة كريمة. وكم من أناس، بسبب الفقر، يعانون من الذل والاستعباد.

لا تقدر اليوم أن تتغاضى عن هذه المشكلة. فليس هناك من يرضى بترك هذه الفئة، دون اهتمام واكتراث. فهؤلاء أناس، خلقهم الله، ومات المسيح من أجلهم، يستحقون الحب والعناية، ليكونوا مواطنين شرفاء، على أرض الله.

ولا يجوز لنا أن نحول هذه المشكلة، لتكون قضية هامشية. فكيف يقول إنسان، إن التوبة عن الخطية هى الشىء المهم، والاهتمام بالفقراء أمر هامشى؟ وكيف يقول شخص إن رسالة الكنيسة هى الدعوة للتوبة، ويرفض أن تكون رسالة الكنيسة شاملة خدمة الفقراء؟

المسيح ورسالته للفقراء

أهمل كثيرون، من المتروحنين، رسالة المسيح للفقراء. ظنوا أنه جاء فقط ليرشد الخطاة إلى التوبة. ولكن المسيح جاء أيضاً للفقراء، عاش بينهم، وكانت له رسالة خاصة لهم، ومن أجلهم. وقدم المسيح إنجيل الحرية للفقراء، لتحريرهم (٨١).

فإنجيل المسيح واقعى، يصل إلى الناس فى واقعهم، ويعمل معهم لتطوير واقعهم(٨٢). فالفقراء لهم كرامة، ولابد من العمل على تجديدهم، لينتقلوا من الظلم إلى العدالة، ومن العزلة إلى معايشة المجتمع، ومن الضياع إلى تمجيد الذات، وكرامة النفس(٨٣). عمل المسيح علي تحطيم قوى التخريب، التى تدمر العالم، وتسىء إلى الناس. فالله أب، للفقراء والمظلومين، والمتألمين والبائسين (٨٤) .

الفقر والظلم الاجتماعى

خلق الله البشر متساويين. ولكن سرعان ما تحولوا إلى غنى وفقير، سيد وعبد. وكان الاتجاه، اتجاهاً بشرياً، لا علاقة له بالقصد الإلهى. فقد أراد الله أن يكون الجميع سواسية.

وقد ينسب استمرار الفقر، إلى وجود أغنياء يظلمون الفقير، فى الأجور، أو فى المعاملة. وهناك من يستغلون الفقير لصالحهم، فيعانى الفقير من الذل

(٨١) The moltmann , the way of jesus christ . p. 90

(٨٢) المرجع السابق. ص٩٩

(٨٣) المرجع السابق. ص. ١٠١، ١٠٢

(٨٤) المرجع السابق. ص٧٩

والجوع والألم.

لذا كان حديث المسيح ثورة على الأغنياء الذين يستغلون الفقراء، أو يتركونهم فقراء دون اهتمام، أو الذين لا يعطفون على الفقراء، ولا يعاملونهم المعاملة الإنسانية الكريمة.

أحس المسيح بالألم، لأجل معاناة الفقراء، ووقف إلى جانبهم، وساندهم بكل طاقاته. وأحس المسيح بألم وهو يتحدث عن الشخص الذى أخذ ديناً، يحل به مشكلة ما فى حياته الشخصية، ولم يتمكن من سداد الدين، فرهن ثوبه لكى يوفى الدين (مت٥: ٤٠).

ولعل المسيح كانت أحشاؤه تحترق وهو يضرب المثل بذاك الذي اضطر أن يُباع هو وزوجته وأولاده ليوفى الدين (مت١٨: ٢٣-٣٥، لو١٢: ٥٨).

فقضية الفقراء، هى بالدرجة الأولى، قضية عدالة. ليكون لهؤلاء ما يرفع عنهم الظلم الاجتماعى الذي وقع عليهم. فهم ضحية أجيال عديدة من مجتمعات ظلمتهم. والظلم هنا قد لا يتحدد فى أفراد معينين، ولكنه يتمثل فى نظم مجتمعية فاسدة، لم تعط الفقراء فرصة لاسترداد إنسانيتهم السليبة.

صورة الغنى الذى لا يرحم

صوَّر المسيح جشع الغنى، عندما ضرب مثلاً بالغنى الذي كان الفتات يتساقط من مائدته، وكان يجلس على باب بيته لعازر، الذى كانت الكلاب تلحس قروحه. أراد المسيح أن يصور الموقف، فالغنى يمثل تلك الفئة، ولعازر

يمثل الفقراء. ثم تحدث المسيح عن الغنى فى الجحيم يتعذب، بينما لعازر فى حضن إبراهيم. والصورة كانت تناقض ما عرفه اليهود فى عصر ما بين العهدين، من أن الفقير لا مكان له فى الدين (لو١٦:١٩-٢١).

وكانت الصورة مثيرة: فلعازر له علاقة مباشرة بإبراهيم، أب المؤمنين، أما الغنى فلا علاقة له به، بل ذهب إلى الجحيم يتعذب. ولا شك أن المسيح أراد أن يقدم صورة ذلك الغنى، الذى لم يمارس شيئاً من الإنسانية، مع ذلك الفقير الذى ارتمى على باب بيته.

وتحدث المسيح أيضاً، عن غنى أخصبت كورته، فقال لنفسه، إن له خيرات كثيرة لسنين عديدة. فجاءه الصوت: ياغبى، فى هذه الليلة تُطلب نفسك منك (لو١٢:١٧-٢١).

ولعل المسيح أراد بهذا أن يصور أن المال لا يعطى كفاية ذاتية. وأن الغنى، الذى لا يهتم إلا بنفسه فقط، هو قصير النظر، محدود البصيرة.

كانت ثورة المسيح على الأغنياء، لأنهم بسبب حبهم للمال، نسوا الفقير. لذلك قال المسيح: "لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (مت٦:٢٤). وقال أيضاً: ""إنه يعسر أن يدخل غنى إلي ملكوت السموات" (مت١٩:٢٣).

وتحدث المسيح عن ذلك العبد، الذى أعفاه سيده من الدين الكبير، ولكنه لما خرج وجد شخصاً مديوناً له بدين قليل، فرفض أن يعفيه. فقال له سيده: "أفما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك، كما رحمتك أنا" (مت١٨:١٨-٣٣).والصورة هنا، ترينا فقيراً لا يرحم فقيراً آخر. فالمشكلة

لدى المسيح، هى مشكلة ذاك الذي لا يحس بما يعانيه الفقير، ولا يقف معه.

وجاء غنى إلى السيد المسيح، يسأله ماذا يعمل ليرث الحياة الأبدية. فنصحه المعلم أن يذهب ويبيع كل ما يملك ويعطى الفقراء، فيكون له كنز فى السماء، ثم يتبع يسوع، ولكنه رفض (مت١٩:١٩-٢٢، لو١٨ :١٨-٢٥).

لم يكن مطلب بيع الأملاك كلها لكل الناس. فعندما قال زكا إنه يبيع نصف أمواله لم يطالبه المسيح بأكثر (لو١٩:٨). ولكن المسيح كان سعيداً، فإن زكا عبّر عن مشاعره تجاه الفقراء، والذين سبق أن سلبهم أموالهم.

وما أراد المسيح أن يوضحه، هو أن الغنى ملتزم ومسئول أن يصحح الأوضاع، وأن يقيم العدالة بدلاً من الظلم الاجتماعى، وذلك بتوزيع شيء من موارده، لصالح أولئك المحرومين. والتوزيع هنا ليس من قبيل العطف والشفقة، ولكنه التزام لتحقيق العدالة المفقودة، ورد الظلم.

وقد كان موقف زكا رائعاً، عندما أراد أن يعطى نصف أمواله للمساكين وإن كان قد وشى بأحد أن يرد له أربعة أضعاف، بمعنى أنه يرد الظلم عن أولئك الذين سلبهم وظلمهم. لذلك، كان السيد المسيح سعيداً، أن يذهب لزيارة زكا فى منزله. فإن زكا، عندما تعهد برد الظلم عدالة لأصحابه، حقق أعظم أمانى المسيح.

ولعل صورة الغِنى الفاحش، كانت تتمثل فى أغنى أغنياء الأرض،

الذين استغلوا الدين ليزيد غناهم. أولئك هم الصدوقيون. فقد عمل الكهنة الصدوقيون على زيادة مصادر الغنى، من جهتين:

الجهة الأولى هى تحصيل ضريبة الهيكل. فالسياح الذين يأتون لأورشليم عديدون. وهم يحضرون ومعهم عملات مالية من بلادهم: عملات فارسية، ومصرية، ويونانية، ورومانية، إلى غير ذلك. والسياح هنا يأتون من كل أنحاء العالم. وعملاتهم عليها صور ملوكهم أو أباطرتهم. فكيف تدخل هذه العملات الشريرة إلى الأقداس؟ لابد من عملة خاصة بالهيكل. فأنشئ "شاقل الهيكل". وعملت مكاتب خاصة لتحويل العملة، كسب منها الصدوقيون الكثير.

والمصدر الثانى، هو ذبائح الهيكل. فالذى يحضر إلى الهيكل لابد له من شراء الذبائح. فأعدوا الذبائح والتقدمات داخل الهيكل. وكان الشعب يأتى للهيكل ويشترى ما يريد، ثم يقدمه. وكانت الذبائح والتقدمات تفحص فى ضوء تفاصيل الشريعة، فى تلك الأيام. فالذى يحضر الذبائح من بيته، قد يحكم عليه الفحص، بأن ذبيحته التى يقدمها غير مناسبة. لذا اضطر الناس أن يشتروا ما يريدون من الهيكل.

وعندما دخل السيد المسيح دار الأمم، فى الهيكل، وهى الدار التى كانت تعج بالسياح والحجاج من كل أنحاء العالم، فهى المكان الوحيد لدخول القادمين، من غير اليهود.. لكنه وجدها مليئة بأعمال التجارة. وكان المسيح يعلم تمام العلم، بأنها تجارة الكهنة. وكان المسيح يدرك تماماً أنه عندما يثور، ستكون ثورته هذه المرة أليمة، لأنها ستصطدم مع السلطة العليا.

غضب السيد المسيح، قلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: "مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. (مت٢١: ١٢-١٧، لو١٩: ٤٥-٤٦).

فتطهير الهيكل، كان ثورة عارمة ضد الجشع، واستغلال الناس، لزيادة غنى الأغنياء. نتج عنها -كما ذكرت أنفاً- أن الصدوقيين دبروا للقبض على السيد، ومحاكمته، وصلبه. وهم الذين رتبوا لإطلاق سراح باراباس وليس المسيح.

تقدير السيد للعناية بالفقير

قال السيد المسيح: "من سقى أحد هؤلاء الصغار، كأس ماء بارد فقط، باسم تلميذ، فالحق أقول لكم، إنه لا يضيع أجره" (مت. ١: ٤٢).

وقد وصف السيد المسيح أن خدمة الفقير، هي خدمة له شخصياً. قال السيد: "لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليّ.. بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم" (مت٢٥: ٣٥-٤٠).

تحدث السيد المسيح عن "الإخوة الأصاغر" على أنهم الفقراء والمتألمون، والجياع، والذين لا مأوى لهم، ولا كساء، والذين يعانون من المرض والسجن. وامتدح المسيح من يقدم كأس ماء بارد، لمن يحتاج إليه. إنهم إخوة السيد.

لمسة إنسانية

فى عرس قانا الجليل، تواجد السيد المسيح. وغالباً كانت هناك علاقة قرابة بين أسرة المسيح وأسرة العريس. وكان الجو كئيباً. فقد اعتاد اليهود، فى هذه المناسبات، أن يوزعوا مشروب النبيذ على الحاضرين. ولكن الأسرة فقيرة، فماذا يمكن عمله؟ وكان المسيح في مستهل خدمته.

أحس المسيح بالألم، مع مشاعر هذه الأسرة الفقيرة، فصنع المسيح أول معجزة له، عندما حوّل الماء خمراً. فشرب الناس، وتحول الحفل الكئيب، إلى حفل مبهج (يو٢:١-١١). والواضح من كمية الماء التى تحولت كانت ضخمة جداً بالمقارنة بعدد الحاضرين.

ولا شك أننا نتذكر، تلك المرأة التى جاءت ودهنت بالطيب قدمى السيد المسيح. ولما انتقدها أحد التلاميذ، لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء (يو١٢:٢-٧). فلم تهتم. فالمشاعر الإنسانية غالية، وهامة جداً. ولابد لنا أن نعطى أهمية خاصة للمشاعر الإنسانية.

فكم تكون قيمة المشاعر الإنسانية، نحو الفقراء، والبائسين، والمظلومين، والمتألمين؟ وكم تكون المشاعر الإنسانية وقيمتها، عندما يرافق التعبير عن المشاعر، مساهمة جادة فى حل هذه المشكلات من جذورها، ليتحقق معها العدالة السليبة.

وماذا عن الفقراء من فئات أخرى؟

تحدث السيد المسيح عن دور السامرى الصالح. فالسامرى شاهد

اليهودى الجريح، الذى سرقه اللصوص، وتركوه فى الطريق بين حي وميت. ولكن السامرى أخذه، واعتنى به، وأنفق عليه. واعتبر المسيح علاقة القرابة هنا، هى علاقة صنع الرحمة، وليست العلاقة العرقية (لو. ١:٢٩-٣٧).

وفى حديث للمسيح، ذكر مثلين، كانت نتيجة ذكرهما أن اليهود حاولوا أن يمسكوا به ويقتلوه. ذكر المسيح هذين المثلين:

"أرامل كثيرة كن فى إسرائيل، ولم يرسل إيليا إلا إلى إمرأة أرملة إلى صرفة صيداء".

"وبرص كثيرون كانوا فى إسرائيل فى زمان أليشع النبى ولم يطهر واحد منهم، إلا نعمان السريانى" (لو٤:٢٥-٢٧).

أثار هذا الحديث غضب السامعين. ولكن السيد المسيح تمسك بموقفه. وأراد المسيح أن يقول، إن أليشع ترك كثيرين برص فى إسرائيل. وذهب لشفاء نعمان السريانى، غير يهودى الجنس. وكذلك ما فعله إيليا فى العناية بأرملة صرفة صيداء، وهى غير يهودية.

لا يجوز التفرقة بين الناس بسبب الفقر أو الجوع أو المرض أو الألم. فالإنسان إنسان. وينبغى خدمة الإنسان، أيا كان، متى كان ذلك ممكناً. والسؤال المماثل هنا: هل يرسل روح الله مسيحياً، ليخدم مسلماً مريضاً فيشفى؟ لو كان يسوع هنا، ما كان يفرق بين واحد وآخر بسبب العرق، أو الدين.

ولا يجوز لكنيسة ما، أن تقصر خدمتها على المسيحيين فقط. بل إن

المشكلة قد تمتد أكثر من ذلك. فهناك من يقصر خدمته على من يسميهم "مؤمنين"، وهم أعضاء كنيسة معينة. وهناك من يشترط للمعونة، دخول فقير فى عضوية الكنيسة، أو -على الأقل- مواظبته عليها. كل هذه الوسائل، أساليب غير كريمة، تزيد من الظلم، ولا تحقق العدالة.

دعوة التحرير من الظلم الاجتماعى

حدثنا السيد المسيح عن دعوة أرسلها صاحب الوليمة، لكن الكبار بدأوا يستعفون. فأرسل السيد، صاحب الدعوة، إلى شوارع المدينة وأزقتها، ودعا المساكين، والجدع، والعرج والعمى، ثم إلى الطرق والسياجات.. وألزمهم بالدخول إلى العشاء. وكان صاحب الدعوة سعيداً بوجودهم فى عشائه (لو١٤:١٦-٢٣).

أراد المسيح مكرراً، أن يوضح أن مكانة الفقير، هى مكانة الإنسان المحترم. فهو أولاً إنسان، له قيمته وحقوقه كإنسان. وأنه لا يجوز احتقار الفقير، أو الإساءة إليه. وواضح من المثل أن الاهتمام بهؤلاء لذواتهم وليس لاتجاهاتهم. فليس فى الدعوة ما ينص على الانتماء والولاء لصاحب الدعوة. لكن الدعوة لهم، كما هم، دون تغيير فى وضعهم.

وقد أراد السيد المسيح أن يحرر المجتمع من التفرقة العنصرية، التى سادته، عبر سنوات طويلة. فلا سيد وعبد، ولا ذكر وأنثى، ولا غني وفقير، فالكل واحد. للكل قيمة واحدة أمام الله.

ورغم أن المجتمع البشرى لا يزال يمارس التفرقة العنصرية بألوانها، إلا أن

بعض مظاهر هذه التفرقة قد اختفت. فبيع الرقيق انتهى عصره، ولا يمارس اليوم كما كان يمارس بالأمس.

ولابد لنا أن نعمل على الإقلال من التفرقة، وذلك من جانبين: دفع السادة والأغنياء أن يهتموا بالفقراء، وأن يتواضعوا، ومساندة الفقراء، لكي يتمكنوا، ويزداد دورهم في المجتمع، ويأخذوا مكانتهم.

تحرير الفقير

مشكلة الفقير، ليست في الفقر ذاته، فحسب، بل في اعتماده على الغير بسبب فقره. فالفقير يعاني بسبب الفقر. يريد أن يحقق ذاته، ويقف الفقر حائلاً في سبيل تحقيق ذلك. ويظن بعض الناس أن الحل هو في توزيع أموال الخير. لكن القضية بالدرجة الأولى، ليست قضية عطف، بل قضية عدالة.

حرية الفقير هي في استقلاله عن غيره، وتمكينه من أن يقف وحده دون اعتماد على الآخر. فالحرية الحقيقية إقرارللعدالة، ورفض للظلم. ولا تتم الحرية بمعالجة مؤقتة للمشكلات، لكنها تتم من خلال علاج أسباب الظلم والمعاناة. ومتى عالجنا أسباب الظلم والفقر، كان العلاج دائماً ومستمراً.

فأفضل أسلوب لتحرير الفقير، هو أن ندفعه ليكافح في الحياة، وأن نشجعه ليجد طريقه، ليخدم نفسه. فتمكين الفقير empowering، ليأخذ مكانه في المجتمع، ويشعر باحترام ذاته، ويكافح ليحقق ذاته، هو الأسلوب الإنساني الأمثل لتحريره.

تحدث المسيح عن توزيع الوزنات على أشخاص، منهم صاحب الوزنة الواحدة الذي لم يعمل (لو١٩: ١١-٢٧)، ووجه اللوم إليه، فقد كان لابد له أن يعمل، وأن يحقق ذاته.

لعلنا نلاحظ أن السيد المسيح اختار بعض تلاميذه من صيادى السمك (مت٤: ١٨-٢٢). فهم لديهم ما يعملون، فيحصلون على رزقهم بعرق جبينهم.

ما هى رسالة المسيح؟

اقتبس السيد المسيح، ما قاله إشعياء النبى (٦١: ١): "روح السيد الرب عليَّ، لأن الرب مسحنى، لأبشر المساكين، أرسلنى لأعصب منكسرى القلب، لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق". والإنجيل في هذه الحالة، دعوة للذين يعانون من أعمال العنف والظلم، ليتحرروا.

فى مثل السيد المسيح عن الغنى ولعازر، يلوم الغنى لأنه لم يهتم بالفقير. ينتج عن ذلك، إن الغنى يذهب إلى العذاب، ولعازر فى حضن إبراهيم. هذه الصورة ترينا، أن العناية بالفقير، ليست مجرد عمل جانبى هامشى، لكنه جزء من صميم الإيمان، والتجاوب مع إنجيل المسيح (لو١٦: ١٩-٣١).

لا يجوز لنا أن نقلل من أهمية دور المسيح فى الاهتمام بعلاج مشكلة الفقر، والاهتمام بالفقراء. فهى صلب رسالة الإيمان المسيحى.

٢ – قضية الخطاة

قسم اليهود الشعب إلى فئتين، فئة الأبرار، وفئة الأشرار. نظر اليهود إلى فئة الخطاة، على أنهم طبقة منحدرة. ولذا فقد اغتاظ الفريسي لأن السيد المسيح لمسته خاطئة (لوقا ٣٩:٧). وكيف يسمح المسيح للمجدلية، بكل شرورها، أن تتعامل معه؟ وكيف يدافع المسيح عن الزانية التى أمسكت فى ذات الفعل، ولا يتركها ترجم؟ (يوحنا ٨:٢ - ١١).

كان هليل يرى أن عامة الشعب لا يمكن أن يتدينوا. أنكر اليهود رحمة الله التى تغفر لأشر الخطاة. ولعل هذه العقيدة كانت ترتبط بقضاء الله. فكانت النظرة أن قضاء الله على الأشرار والخطاة نهائى، لا رجعة فيه ولا رحمة.

اتجهت الشريعة قديماً، إلى تحويل الخطية من الإنسان إلى الذبيحة، وبذلك يصفح الله عن الخطية [(٨٥)]. فالشريعة فى العهد القديم لم تعرف غفراناً رسمياً للخطية. ففى عصر المسيح، كانت الوسيلة الوحيدة لغفران الخطايا، عن طريق التقدم للهيكل، لتقديم الذبائح والتقدمات المطلوبة والتى يتم رفعها عن طريق الكاهن.

الأبرار والأشرار

قال السيد المسيح : لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (متى ٩:١٣). وكان السيد المسيح يقصد بذلك. أولئك الذين خدعوا أنفسهم ببرهم

---

(٨٥) Pentcost . op ., cit . p 153

الذاتى والطقسى. قدم المسيح نموذجاً من ذلك الفريسي الذى صعد إلى الهيكل يصلى، وتحدث عن ممارساته الدينية والطقسية، وامتدح نفسه، وتباهى بأنه ليس مثل هذا العشار (لوقا١٨). وامتدح المسيح العشار لأنه عرف أنه فى حاجة لغفران الخطايا، ووجه اللوم للفريسي البار، الذى لم يشعر بأنه فى حاجة لغفران خطاياه.

أراد السيد المسيح أن يميز بين من رأوا أنفسهم أبراراً، لأنهم مارسوا الشريعة الطقسية الحرفية، وأولئك الذين رأوا أنفسهم أشراراً، يحتاجون للغفران.

والمشكلة تعود إلى أنه فى عصر اليهودية، عندما ميز شعب اليهود أنفسهم، بأنهم شعب الله المختار، وفصلوا أنفسهم عن الأمم. وقد مارس اليهود إجراءات عديدة، ليفصلوا أنفسهم عن الأمم الوثنية. وقد أشرنا سابقاً إلى بعض هذه الإجراءات. وأعطى اليهود أنفسهم مسحة مقدسة من وراء ذلك.

رفض السيد المسيح هذا الأسلوب. فكل الناس خطاة، والكل فى حاجة إلى غفران خطاياهم. ولابد من التوبة. فلاِ فرق بين كاهن وإنسان عادى، بين سيد وعبد، بين غنى وفقير، بين رجل وامرأة.. الكل يحتاجون لمغفرة خطاياهم.

تعامل المسيح مع العشارين والخطاة

التقى السيد المسيح بالعشارين والخطاة وجالسهم وأكل معهم

(مت٩: ١١و١٢)، ولم يجد المسيح غضاضة فى ذلك. فكان تقدير المسيح لهم كأناس، لهم قيمتهم الذاتية. كان يوحنا المعمدان معتزلاً فى البرية (مر١: ٦، ٢: ١٨)، ولكن المسيح لم يتبنَّ هذا الأسلوب. دعا المسيح للاندماج، ودخول المجتمع والارتباط بالناس.

لم يقبل اليهود هذه العلاقة. فاليهودى -النموذجى- يرفض الجلوس مع الخطاة أو التعامل معهم. والخطاة فى نظر اليهود، إما فئة الخطاة فى الشعب، أو كل من هم غير يهود. وقد رفض المسيح هذا الأسلوب، وجالس الخطاة.

اعتبر السيد المسيح أن الخطاة هم ضحايا النظام الحاضر، وضحايا الظروف المحيطة، وربما النشأة. ولابد من تجديد النظام، وتطوير الظروف، لتعاون الخطاة على تعديل مواقفهم. وقد يكون الضلال ناشئاً عن عدم اقتناع الإنسان بوضعه، وتصوره أنه يقدر أن يغير منه، كما كان دور الابن الضال.

لم يكن السيد المسيح متشدداً مع الخطاة، بل كان متشدداً مع المتدينين الطقسيين والمرائين. كان المسيح عطوفاً جداً مع الأشرار. لم يوجه المسيح لوماً للمرأة الخاطئة التى أمسكت فى ذات الفعل. فالمسيح يقدِّر الظروف الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية التى انطلق منها الشر. فالشر ليس وليد إرادة إنسانية فحسب، بل هو أيضاً وليد نظام المجتمع. كما أن السيد المسيح ترك مجالاً للتوبة.

علاج الخطية

هناك نظم اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، هى أساس الشر فى المجتمع. ونحن نسمى هذه النظم evil structures. ولابد من تغيير النظم لتتحول الأساليب إلى وسائل أفضل، وليتحرر الإنسان من مساوىء وشرور ترتبط بالنظم.

وهناك شرور فردية، يرتكبها الإنسان بسبب إرادته الشريرة، أو بسبب عادة تعود عليها منذ طفولته. وصناعة الإنسان، من خلال توبته، بإرادته الحرة تعاونه على تغيير ذاتيته، إلى ما هو أفضل.

وليس غريباً، أن تكون نظم بعض الكنائس، نظماً شريرة، تدفع إلى الفساد، ولا تدفع إلى الإيمان. فالكنائس، يديرها البشر، وللبشر ضعفاتهم. وكم من كنائس، خلال التاريخ، تحولت إلى مؤسسات تدعم الخطأ، ولا تساند الإيمان.

يتم علاج الخطية من خلال توبة الإنسان. فالدعوة للتوبة وحدها، هى الطريق. ولما كان غفران المسيح قائماً، فالتوبة تجد صداها فوراً.

ومشكلة الإنسان، لا أن يحصل على غفران الله فحسب، بل أن يغفر هو لنفسه أيضاً. وهذه مشكلة حقيقية. فإن إنساناً، ارتكب إثماً معيناً، قد يجد من الصعوبة أن يغفر هو لنفسه. فيحتاج لوقت، يتعامل فيه مع نفسه، حتى يصفح عنها.

وهناك إطار شامل، يعاون على التربية المجتمعية، الأفضل سلوكاً، وذلك

من خلال نظم المجتمع.

ففى سويسرا، أنت تشترى تذكرة الأتوبيس، وقيمتها فرنك سويسرى أو فرنكان مثلاً. ويندر أن يمر مفتش يطلب التذاكر فى الأتوبيس. لكنه لو مرّ، ولم يجد التذكرة، فيعاقب بدفع أربعين فرنكاً. هذا إلى جانب أن الشخص يصبح محلاً للمساءلة.

التقيت فى سويسرا مع مصرى يقيم هناك، سألته ماذا يعمل مع تذكرة الأتوبيس؟! قال: بداية الأمر لم أجد دافعاً أن أشترى التذكرة. وبعد شهر تقريباً، وجدت نفسى أشترى التذكرة، لأنى لم أحس باحترامى لذاتى، دون الخضوع للنظام العام.

فتجديد النظم يؤثر حتماً على سلوكيات الناس وقيمهم. والعمل على تجديد النظم، وترقية السلوكيات، أسلوب يرفع مستوى القيم والمعاملة إلى أساس كريم.

غفر السيد المسيح خطايا أشر الخطاة

فى نظر السيد المسيح، لا يوجد إنسان لا قيمة له. فكل إنسان هو خليقة الله ولابد من العناية به. اهتم المسيح جداً بإعلان غفران الخطايا. وقد أثار هذا اليهود إثارة كبيرة. وهناك نماذج عديدة لذلك فى أعمال المسيح.

فالإنجيل رسالة فرح، لإعلان الخلاص. وقد أعلن السيد المسيح أن ملكوت الله قريب، وأن الله أب. وبإعلان هذه العلاقة، أمكن الارتباط المباشر، بين الإنسان وربه.

غفران الله قائم قبل التوبة

"لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ١٠). ودور السيد المسيح هنا أنه أعلن الغفران، دون تنفيذ عقاب الشريعة. وارتفاع المسيح على خشبة الصليب، إعلان للغفران، دون انتظار لتوبة الإنسان.

فإعلان الغفران قائم. بقى أن الإنسان يقبل أو يرفض، وهو بذلك يحكم على نفسه.

لنأخذ الصورة التى رسمها السيد المسيح، فى قصة الابن الضال (لو١٥). الصورة هنا، هى أن الأب صفح عن ابنه، قبل أن يتحرك ابنه عائداً. والصفح قائم نتيجة المحبة اللامحدودة. وعندما جاء الابن، كان الأب معداً لاستقباله. والصورة هنا صورة لاستقبال ابن انتصر فى معركة، أو نجح فى حياته، أو حقق أهدافاً عظيمة. لكن الابن لم يحقق شيئاً من هذا. إلا أن محبة الأب غفرت ما ارتكبه الابن من خطأ. فالغفران كامل وشامل، وبلا حدود.

صورة الأب المحب هنا، كانت ثورة ضد تعليم اليهود، فى فترة مابين العهدين. فالحب اللا محدود، لا يعرف عقاباً، ولا يرضى بعقاب الشريعة. هذا الحب، يصفح ويغفر.

ثم رسم السيد المسيح صورة أعظم للحب، عندما تحدث عن الخروف الضال، والدرهم المفقود (لو١٥). وهنا يصور الراعى وهو يبحث عن الخروف

فى كل مكان، كذلك صاحبة البيت، وهى تفتش عن الدرهم المفقود فى كل مكان. فالحب، يمتد، إنه ينتظر، ويبحث ويفتش عن الضال. والراعى متى وجد الضال، لا يعاقبه، ولا يعنفه، بل يعتنى ويهتم به كثيراً.

وأخيراً، أساس موقف الإنسان، أيا كان، إنه خاطىء غفرت خطاياه. فليس على الأرض من هو أفضل من ذلك.

مشكلة التفرقة في مجتمعاتنا الدينية اليوم

تعانى كنائسنا من التفرقة بين المؤمنين والخطاة. فالخطاة، هم الأشخاص الذين لا تنطبق عليهم قيم وسلوكيات وطقوس ونظم مفهوم الإيمان لدى فئة المؤمنين. ويرفض مجتمع المؤمنين دخول خطاة إليه!

بل إن مجتمع المؤمنين، لو أراد دراسة قضية علمية ما، فقد يتصرف بأسلوب التفرقة العنصرية. فهو لا يقبل شخصاً -فى نظرهم غير مؤمن- ليلقى المحاضرة، حتى وإن كانت فى تخصصه!

تتحكم فى هؤلاء "المؤمنين"، قواعد الشريعة الشفوية المتداولة بينهم. وهذه الشريعة تجرهم إلى الاقتناع بأنهم "أبرار" طقسياً، وكان ينبغى عليهم أن يتأكدوا، أنهم يحتاجون لمغفرة الخطايا كل يوم.

لم يعرف السيد المسيح هذه التفرقة. فكان يتعامل مع العشارين والخطاة، الذين كانوا مرفوضين من المجتمع المتدين. فقد كان المسيح يقدِّر الإنسانية، كقيمة فى حد ذاتها. علَّم المسيح المجتمع قيمه الغالية.

التعددية في الإيمان

الواضح من أسلوب المسيح أنه قبل التعددية. فلم يرض بنموذج واحد يلتزم به الجميع. كان حديث المسيح، في المقارنة بينه، وبين يوحنا المعمدان. فقد كانا نموذجين متنوعين. ومن الحديث الذى أدلى به الرسول بولس، عن الأكل مما ذبح للأصنام (والذي أوردنا دراسة مستفيضة بشأنه)، يظهر أنه يدعو للتعددية. فهناك من يأكل وهناك من لا يأكل.

الإيمان المسيحى يدعو للتعددية، ويسمح باختلاف الرأى وتنوعه. ويرفض أن يحكم واحد على آخر بالإدانة، أو أن يزدر واحد بآخر. فالتعددية الإيمانية أسلوب متاح، من كلمة الله، ومن تعليم المسيح سواء بأقواله أو بأعماله.

٣ - قضية المرأة

عانت المرأة كثيراً عبر التاريخ. ولو عدنا إلى مرحلة "مابين العهدين"، فإننا نجد أن المرأة كانت فى أسوأ مراحل معاناتها، عبر التاريخ اليهودى.

نصح التقليد الشفوى بعدم التحدث مع المرأة كثيراً. فالمرأة أقل من الرجل قيمة ومكانة. والرجل هو السيد. ذكر سفر المكابيين ضرورة بقاء المرأة فى بيتها علامة الطهارة. ومع ذلك خرجت المرأة اليهودية إلى الحقول والدكاكين وظهرت فى المجتمع.

كانت التعليمات للمرأة أنها لا تسير فى الطريق وشعرها مسترسل، وأنها لا تتحدث إلى الرجال[٨٦]. كل إيراد الزوجة ملك للزوج، وكل ميراثها بعد الزواج يصبح ملكاً لزوجها[٨٧]. ووضع الفريسيون نظاماً أن الابن يرث الأسرة والابنة لا ترث، بينما اختلف الصدوقيون عنهم إذ سمحوا للابنة أن ترث[٨٨].

كانت النساء تجلسن فى المجمع منفصلات عن الرجال[٨٩]. ولم تكن المرأة تتعلم الدين. قال ربى يهودى: إن الرجل يجرى وراء المرأة، لا المرأة وراء الرجل، لأن الرجل خُلق من تراب، والمرأة خلقت من ضلع الرجل؟![٩٠]

---

(٨٦) Edersheim , sketches p . 157

(٨٧) المرجع السابق. ص٢٨٩

(٨٨) Edersheim, The life & times of Jesus p . 321

(٨٩) Edersheim . sketches, p. 146

(٩٠) المرجع السابق

وقال ربى يهودى آخر: "لعن الله المرأة ليجرى الرجل وراءها" [٩١] .

وقد أشرنا إلى بعض جوانب معاملة المرأة، وفهمها ، فى حديث سابق عند التحدث عن الشريعة الشفوية.

استخدام الشال كان شائعاً، عند الهيود والرومان واليونان فى عصر السيد المسيح. لم يستعمل البرقع إلا نادراً (تك٢٤:٦٥)، ولم يستعمل الحجاب قط. المرأة تنتمى لرجل من طفولتها ، فهى تتبع والدها ، ثم زوجها.

احيطت المرأة بمشكلات عديدة. فعند ولادة طفلة، تعبر أسر عديدة عن عدم رضاها لأن الوليد أنثى. وهناك أسر تستمر في الإنجاب حتى يأتى الذكر. ومتى كبرت الطفلة وأحست بأنها غير مرضى عنها ، أو غير مرغوب فيها ، فهذا الإحساس المؤلم يترك آثاره السلبية ويطبعها على شخصيتها.

وتعانى الفتاة من العديد من المشكلات. فأخوها الأصغر له امتيازات أكثر، لمجرد أنه ذكر. وهى محاصرة بتقاليد عديدة : أين تذهب؟ متى تخرج من البيت؟ متى تعود؟ إلى غير ذلك. تحاصرها أسئلة عديدة: مع من تتكلم؟ من هم أصدقاؤها؟ هل تتكلم مع الأولاد؟ إلى غير ذلك.

والمرأة تلام أكثر من الرجل. نفس المشكلة اليهودية، التى لاتزال قائمة حتى الآن. المرأة ترجم أما الرجل فلا يحاسبه أحد. وتفهم المرأة أن المشكلة فى أنوثتها. وقد خلقها الله أنثى. فإن كان الله قد خلقها أنثى، فهى -دون شك- مكرّمة، والأنوثة مكرّمة، لأنها خليقة الله.

---

(٩١) المرجع السابق. ص.١٤

وقد حكمت بعض البيئات على المرأة، بلبس غطاء الرأس، أو الحجاب، أو نوع معين من الملابس. كل هذا له آثار نفسية أليمة على المرأة. ولماذا كل هذا ؟ لأن المرأة لا يجوز أن تنكشف على رجل؟ ولماذا؟ هل الرجل وَحش؟ هل المرأة ضعيفة؟ الطلبة والطالبات معاً فى المدارس، وفى الرحلات. الموظفون والموظفات معاً فى المكاتب، حكومية كانت أو أهلية، والعلاقات طيبة. هناك أخطاء وانحرافات، والانحرافات تزيد مع الحرمان، وتقل مع الاختلاط.

وهناك نساء، بسبب كل ما يعانينه، كرهن أنوثتهن، ويحاولن إخفاءها. قالت إحداهن: "كم كنت أتمنى لو كنت رجلاً". معنى ذلك، أنها ترفض أنوثتها. فهى تعانى من شيزوفرانيا (فصام)، ولا تقبل ذاتها بسبب أنوثتها. ولا تقدر أن تتصالح مع نفسها، ما لم تقبل ذاتها.

وحتى الكنائس! فصلت النساء عن الرجال فى الجلوس، بغير ما كانت عليه العلية الأولى -علية العهد الجديد. وهناك من يتشدقون بتحديد مواصفات للملابس المقدسة، والملابس الشريرة للنساء. وهناك -أيضاً- هجوم على زينة المرأة، إلى غير ذلك من المشكلات التى أقامتها القيادة الكنسية، عبر عصور عديدة، ضد المرأة.

قضية المرأة بالدرجة الأولى، هى قضية عدالة. فقد خلق الله المرأة إنساناً، مساوياً للرجل. وأراد الله تواجد النوعين: الذكر والأنثى. وأراد الله من البدء، أن تكون المرأة كالرجل. لكن التاريخ ظلمها، والنظم الاجتماعية أساءت إليها. وجاء الوقت لنرد للمرأة مكانتها، فنحقق معها العدالة.

رفض السيد المسيح هذا الأسلوب. طالب بتحرير المرأة. عندما وقف المسيح يتحدث إلى السامرية، تعجب التلاميذ، فكيف يتحدث مع امرأة (يو٤:٢٧). ولكن المسيح قَبِلَ السامرية.

غفر المسيح خطايا المرأة

غفر المسيح للزانية التى أمسكت فى ذات الفعل (يو٨:٢-١١). كما غفر للخاطئة التى جاءت تلمسه عند بيت الفريسى (لو٧:٣٩).

وغفر لمريم المجدلية (لو٨:٢). وتحدث عن الخاطئة التى غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً (لو٧:٤٧). وشفى نازفة الدم وغفر لها، قائلاً: إيمانك قد شفاك (مت٩:٢٠-٢٢).

وقد كان غفران المسيح، مرتبطاً بعدم تطبيق عقاب الشريعة. فالزوانى بالذات، كان عقاب الشريعة، يحكم عليهن بالرجم. وقد رفض المسيح ذلك. وكانت معاملة المسيح للمرأة كالرجل تماماً، فى غفران الخطايا، فلم يكن ثمة فرق بينهما. فالرجل خاطىء، والمرأة خاطئة، والكل يقفون أمام الله سواسية، والكل يحتاجون لغفران الله، دون فرق.

المرأة تتعبد

رفضت الشريعة قديماً أن تسمح للمرأة أن تدخل الهيكل. فكانت المرأة تدخل دار النساء. وكان الرجال يدخلون إلى داخل الهيكل. أما فى المجامع فكانت المرأة تحتل مكانة أفضل. ورفضت الشريعة قديماً أن تتعبد المرأة وهى حائض، فالحيض نجاسة فى نظر الشريعة اليهودية.

وأعطى المسيح المرأة فرصة العبادة كاملة. فالمرأة تتمتع بالتقوى الشخصية، وحرية العبادة كالرجل تماماً. وحالة الحيض ليست نجسة. إنها طبيعية، ترتبط بمواصفات الأنوثة. ولا غبار على المرأة فى أن تتعبد فى كل حالة.

المرأة تعلم وتتعلم وتعمل

سمح المسيح للمرأة بأن تحضر تعليمه. وقد مدح المسيح مريم لأنها اختارت النصيب الصالح، وهو أن تتعلم عند قدميه (لو١٠:٣٩). وقبل المسيح دور السامرية، عندما ذهبت لتحكى عما عمله معها المسيح. وقد أعطى الله وزنات للنساء كالرجال ليتعلمن، ويعملن (مت٢٥:١٤-٣٠).

تطليق المرأة

تحدث المشنا اليهودى عن طلاق المرأة بدون تعويض[٩٢] أعطى الزوج الحق أن يكون زوجاً وقاضياً، فيطلق زوجته متى أراد، ويكتب لها كتاب طلاق (مت١٩:٧). وقال المسيح إن موسى من أجل فساد قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم (مت١٩:٨)، ولعله قصد، أنه لم يكن من السهل إصدار قرار أفضل من ذلك. لكن هذا الوضع رفع مكانة المرأة فى عصر موسى، عما كان حال المرأة فى المجتمعات الوثنية المجاورة.

ومع ذلك ، فقد سمح للزوجة، أن تطلب من زوجها أن يطلقها، إن كان الزوج أبرص، أو مريض بمرض خطير، أو يمارس تجارة غير نظيفة[٩٣] أما إن

(٩٢) المرجع السابق. ص١٥٨

(٩٣) المرجع السابق.

كان أحد الطرفين هرطوقاً أو أنكر اليهودية، فكان الطلاق جائزاً[٩٤] .

إلا أن هذا ليس كافياً. فأراد المسيح أن يحرر المرأة من الرجل الظالم، فتحدث عن الطلاق فى حالة واحدة هى علة الزنى (مت٥:٢٧و ٣٢و مر.١:١١و ١٢).

العادات التي تسيء إلي المرأة

ظهرت عبر التاريخ عادات سيئة، تضر بالمرأة، إلى جانب أنها تسيء إلى كرامتها كإنسان، وكأنثى. من هذه العادات ختان الإناث، وممارسة ليلة الدخلة، وحجاب المرأة.

فختان الإناث، لحماية الأنثى، وحفظها طاهرة. والواضح علمياً أن الجزء الذي يبتر من عضو الجنس، فى الأنثى، لا يمنع عنها الشهوة، بل يبطئها فقط. وحماية المرأة ينبغى أن تكون من دوافعها الداخلية -كتعليم السيد المسيح فما ينجس الإنسان يخرج من قلبه "لأن من القلب تخرج أفكار شريرة" (مت١٥:١٩). هذا بالإضافة إلى أن الختان كثيراً ما يتحول إلى نزيف، يضر بالجسم، وقد ينتج عنه الموت.

وإثبات برارة الفتاة، عل أنها عذراء، فى ليلة الدخلة، وسيلة سيئة، تمتهن كرامة المرأة. وقد مورست هذه العادة فى أجيال قديمة، ولا يجوز أنها تستمر. فالثقة فى المرأة، ثقة لا يجوز أن تعتمد على وسائل مهينة. وقد ظهر علمياً، أن غشاء البكارة للفتاة، مرات يكون رقيقاً جداً، يمكن تمزيقه

(٩٤) المرجع السابق.

دون نزول دماء، وهناك فتيات لا عذرة لهن، وهناك فتيات يحتجن إلى عملية جراحية لتهتك العذرة، لأنها تكون سميكة جداً. وهناك غشاء يمكن معه ممارسة الجنس ممارسة كاملة دون أن يتهتك، بل يبقى فى مكانه كما هو.

والعادات الخاصة بعذرة الفتاة (غشاء البكارة)، تعود بنا إلى الشريعة اليهودية. فقد مارس اليهود إثبات وجود غشاء البكارة فى ليلة الدخلة واعتبروه دليلاً على طهارة الفتاة (تث٢٢:١٣-٢١). فإن كان اليهود قد مارسوها فى عصور قديمة، فليس لنا أن نمارسها اليوم. فالمعلومات الصحية المتاحة لنا اليوم، تختلف عن تلك التى كانت متاحة فى عصور قديمة.

أما حجاب المرأة، فهو مأساة. المرأة تلبس الحجاب، وتغطى بملابسها كل جسمها، خوفاً من أعين الرجل. والافتراض هنا أن عيون الرجال شريرة، وهذا ليس صحيحاً. ولو وجد رجل شرير، فما قيمة عينه الشريرة للمرأة؟ ولماذا تتعذب المرأة؟ لأنها تريد أن تخفى جسدها عن الرجل؟

لم يطلب المسيح من المرأة أن تختفى من أمام أعين الرجل، ولم يمنع المسيح المرأة من التحدث مع الرجال، كما أنه لم يمنع الرجال من التحدث إلى النساء. شجع السيد المسيح المرأة، أن تتعامل مع الرجال، دون حرج. بل لعله كان واضحاً، أن النسوة تعاملن مع التلاميذ بعد القيامة، كخادمات للمسيح.

لم يطلب المسيح من النساء ارتداء ملابس خاصة، ولم يتحدث المسيح قط عن ملابس المرأة. فكانت النساء تلبس ملابسها كنساء عاملات وعضوات فى المجتمع.

لقد أخرج المسيح المرأة عن عزلتها، ودفعها لأن تعمل فى المجتمع ويكون لها دور فيه. وأعطاها مكانتها الكاملة فى المجتمع.

قيادة المرأة

قبل المسيح شهادة المرأة. النسوة تبعن المسيح عند الصليب (مت٢٧: ٥٥و ٥٦)، وذهبن إلى القبر فجر القيامة (مت٢٨)، وكن أول من بشر بالقيامة من الأموات.

سمح المسيح للنسوة بأن يأخذن دورهن فى العمل القيادى. فالنسوة، متزوجات أو أعزاب، رافقن السيد المسيح وقمن بخدمته، وقبل المسيح خدمتهن (لو٨: ١-٣).

وظهر دور المرأة القيادى فى كنيسة المسيح فيما بعد. كما احتلت المرأة مكانتها عبر التاريخ، فى أسمى المراكز. وكان لابد للمرأة أن تكون كذلك، لتكون مساوية للرجل. فهذه، فى المرتبة الأولى، قضية عدالة.

مكانة الطفل

وقد كان للطفل مكانة محدودة فى عصر المسيح. فلم يكن الطفل الرومانى ينال الاحترام، كإنسان فى المجتمع [٩٥] .

وكان اهتمام اليهود بالطفل، هو الاهتمام بوليد للأسرة. فالطفل عندهم هو عطية الله (مز١٢٧: ٣-٥). والمرأة المباركة هى التى لها أولاد كثيرون (تك٣٣: ٥)، وعدم وجود أطفال فى الأسرة كان يحسب لعنة.

---

(٩٥) Weber, Jesus and the Christ, PP.5,6

وكان اليهود يهتمون بتواجد أطفال، لدرجة أنه، لو مات زوج وليس له ابن، سمحوا لأخيه أن يتزوج زوجته، لينجب منها نسلاً (تث٢٥:٥-١٠)، والزوجة التى لا تلد، تعطى جاريتها لزوجها لينجب منها نسلاً (تك.٣٠:١-١٣).

لم يفهم الناس مضمون حقوق الطفل كإنسان. وعبر تاريخ العهد القديم، ظهر صموئيل، الذي أخذ النبوة طفلاً (١صم٣:١-٩). إلا أن هذا يعتبر حدثاً فريداً، لم يتكرر.

أراد السيد المسيح أن يعطى الطفل مكانة أسمى، عندما قال "دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله»(مر.١٠ :١٣-١٦). فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم، وقال: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت١٨:١-٥ و مر٩:٣٣-٣٧ و لو٩:٤٦-٤٨).

وقد كان واضحاً أن السيد المسيح، عندما سمح للأطفال، أن يدخلوا ملكوت السماوات كأطفال، سمح بدخول الأطفال شريعة العهد مع الكبار، لا فرق. وفى عهد المسيح، سمح للأطفال أن يحضروا تعليمه (مت١٤:٢١).

الإنسان أهم من الشريعة
والمسيح أهم من الهيكل

لقد شاهد السيد المسيح كيف اهتم حُماة الشريعة، بالشريعة، وتركوا الإنسان يعانى، فى سبيل دفاعهم عن الشريعة. وأحس المسيح بالألم، بسبب المفاهيم المقلوبة التى قدمها زعماء الدين، والتى شاهدها تمارس فى عصره.

قال المسيح: **"السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت"** (مر٢:٢٧). وكان حديث المسيح هذا، أهم ما جاء فى الوحى المقدس. لخص المسيح الشريعة فى عنصرين:

"تحب الرب إلهك، وتحب قريبك كنفسك" (مر١٢:٢٨-٣٤). فإن كانت كل الشريعة -فى العهد القديم- تتلخص فى عنصرين، هما المحبة لله والقريب، فيكون المسيح بذلك، قد أكمل الشريعة إلى درجة أعظم وأعلى.

والسيد المسيح بذلك يرسى المبدأ الهام، وهو أن الإنسان أهم من الشريعة. بل الإنسان هدف الشريعة. لقد وضعت الشريعة فى العهد القديم من أجل الإنسان، ثم جعل الإنسان منها هدفاً، والإنسان وسيلة. وبذلك ضاعت القيم الحقيقية.

والمحبة -فى نظر المسيح- هى القياس الحقيقى، للعلاقات بين الناس وربهم، وبين الناس بعضهم البعض. وقياس المحبة لا حدود له. ومتى وجدت المحبة، تحققت الأمال الكبار التى يريدها الله للبشرية.

الإنسان أهم من تطبيق الشريعة

عندما شفى المسيح صاحب اليد اليابسة، يوم السبت، وتذمر الفريسيون، قال لهم: "أى إنسان منكم يكون له خروف واحد، فإن سقط هذا فى السبت

فى حفرة، أفما يمسكه ويقيمه... فالإنسان، كم هو أفضل من الخروف" (مت١٢: ١١و ١٢). وشجع المسيح على كسر السبت، عندما جاع التلاميذ وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون، فالفريسيون لما نظروا قالوا للسيد المسيح هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت. فكان رأى السيد موافقاً لما فعلوه حيث ذكَّرهم بما فعله داود الملك الذى كسر الشريعة، بأن تناول، هو ومن معه، خبز التقدمة (مت١٢: ١-٨). وذكر الرسول بولس بأن الإنسان أهم من السبت (كولوسى٢: ١٦).

فهل يستمر الجائعون جوعى حفاظاً على خبز التقدمة؟ وهل يستمر التلاميذ جوعى، لكى لا يقطفوا السنابل فى الحقل فى يوم السبت؟

فما أراد المسيح أن يثبته، هو أن الإنسان أهم من الشريعة، لأن الإنسان هو هدف الشريعة. فقد أعطى الله الشريعة قديماً من أجل الإنسان: أى من أجل تنظيم علاقة الإنسان بالله وعلاقة الإنسان بالإنسان، ومن أجل نموه وتقدمه، من أجل نجاحه، وراحته.

قال كاتب المزمور (مز٨: ٥و ٦): "بمجد وبهاء تسلطه على أعمال يديك، جعلت كلى شىء تحت قدميه". فالقيمة الذاتية للإنسان، مهمة جداً.

الإنسان أهم من تطبيق عقاب الشريعة

رفض السيد المسيح تطبيق عقاب الشريعة على الزانية، عندما قال لهم: "من منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر". وفى حديث المسيح عن الابن الضال، تحدث عن قبول الأب لابنه الضال، دون عقاب الشريعة. وتحدثنا من

قبل عن ذاك الذى قرع على صدره، وطلب الغفران، وغفرت خطاياه، دون تطبيق عقاب الشريعة.

هناك أناس يهمهم جداً تطبيق عقاب الشريعة على المخطىء، كما لو كان الأمر شخصياً، وأن هناك رغبة شخصية للانتقام، وليس لتطبيق الشريعة. ولعل تطبيق العقاب يعطى لأولئك الناس إحساس الفخر، أنهم الأفضل، والأكثر براً، والأعظم قدراً.

وكان غفران الخطية المسبق، تعبيراً صادقاً، عن رغبة المسيح، فى وقف عقاب الشريعة، ومنح الإنسان غفراناً كاملاً، بلا حدود. فإعلان الحب الإلهى، اللا محدود، للإنسانية كلها، لا يرافقه عقاب شريعة.

القانون لا يحل المشكلات ولا يصلح الإنسان

فشل القانون فى حل المشكلات البشرية، سواء مشكلات الزوج والزوجة داخل الأسرة، أو الوالدين والأبناء، أو مشكلات المجتمعات البشرية، أو المشكلات بين الدول.

فالحل الصالح دائماً، يتم من خلال حوارات، أو مفاوضات، قد تحتاج لوقت طويل. ولابد لهذه الحوارات أو المفاوضات أن تتسم بالمرونة الكافية، التى تسمح بإطار يعاون على حل المشكلات، وتحقيق اتفاقات دولية أو فردية. أما القانون الجامد، فلا يحل المشكلات.

وإن كان القانون لازماً على مستوى معين، وهو المستوى السياسى أو المدنى، لكى يكبح جماح الجريمة والشر فى المجتمع، ويحقق الحد الأدنى من

الأمن والاستقرار للمواطنين، إلا أن الأسلوب الأنجح فى العلاقات البشرية، حيث لا ينجح قانون، يتم من خلال حوارات ومفاوضات، تحقق السلام المبنى على العدل، كما تحقق المحبة المبنية عل الحق.

وعندما رفض السيد المسيح أن يكون زعيماً سياسياً كما أرادوه، كان ذلك فكراً أساسياً له، يوضح أنه لايريد الربط بين الدين والدولة، كما أراد أن يوضح أن أسلوباً آخر، غير أساليب الدولة وقوانينها وسياستها المعهودة، يحتاج أن يتواجد فى المجتمعات البشرية لبنائها، على أسس من الاحترام.

حماة الشريعة فاقدون للإنسانية

يخطىء من يظن أنه موجود لحماية شريعة الله. فمن هو الإنسان الذي يحمى شريعة الله؟ إن كان الله لا يحمى شريعته، فكيف يقدر الإنسان أن يحميها؟

حُماة الشريعة، فى كل جيل وعصر، هم أشخاص يستخدمون الشريعة وسيلة لتحقيق مآربهم، وأحقادهم. أو أنهم أشخاص، فقدوا الحس الآدمى. تحدث أمامى طبيب بشرى، قال إنه فى حالة ولادة سيدة، لو تأكد له أن الطفل الوليد معوّق، وأن الأم فى خطر، فهو سيُجرى عملية الولادة، فالطفل من حقه أن يولد، أما صحة الأم فيتركها فى يد الله، والله سيحميها إن أراد. أحسست أننى أتحدث مع شخص لا حس له. يتحدث بغير اكتراث. فهو يهتمُ بأن يحقق الولادة، ويرفض الإجهاض، ولا يهمه طفل وليد، يولد مشوّها، يعانى فى الحياة، ولا يهمه أم تموت، والوليد لا يجد أماً له. هل إلى هذا الحد، يفقد آدمي حِسَّه الإنسانى؟!

تصور أن صاحب اليد اليابسة، يده تشفى وهنا يتشدق حماة الشريعة، قائلين: لقد كسر المسيح السبت وشفاه! أين الإنسانية؟!

تصور أن المؤتمر العالمى للسكان والتنمية، يعقد بالقاهرة، ويخطط هذا المؤتمر لإنقاذ البشرية من الفقر والألم والذل لعشرين عاماً قادمة. وينبرى حماة الشريعة، قائلين: هذا المؤتمر يبيح الإجهاض!!

ومهما كانت المشكلة، فهناك جوانب عديدة فى هذا المؤتمر، تعمل لحماية الإنسان، من الفقر والجوع والألم، وتبحث عن سعادة البشر والبشرية. لكن حُماة الشريعة لا يهمهم شيء سوى حماية الشريعة. ويظنون أنهم يحمونها. وظهر عقلاء، يساندون المؤتمر، ويطالبون بتحديد ما يمس الإجهاض.

قال السيد المسيح: "أريد رحمة لا ذبيحة" (مت٩:١٣، ١٢:٧، انظر هوشع٦:٦). فالرحمة سلوك أخلاقى، والذبيحة عمل طقسى، الرحمة تأتى أولاً، والذبيحة تأتى ثانياً.

كذلك قال السيد المسيح: "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً إصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت٥:٢٣و ٢٤). فتكوين علاقة طيبة مع الناس تأتى أولاً، والعبادة تأتى ثانياً.

من ثم فالمحبة فى نظر السيد المسيح تأتى فى المكانة الأولى، ثم تأتى العبادة تالية لذلك. الرحمة تأتى أولاً، ثم مراسيم العبادة تلى ذلك. فالمحبة والرحمة، قيم إنسانية كريمة وعميقة.

وهنا يأتى السؤال: إذاً ماذا يحدث؟ هل هناك شريعة أم لا؟ وما هو الموقف فى المسيحية. وهذا يدفعنا إلى دراسة أعمق لاتجاه المسيح الفكرى، من خلال أقواله وأعماله.

أقوال السيد المسيح وأعماله ليست شرائع

حاول كثيرون أن يستخدموا أقوال المسيح على أنها شرائع. فهناك من يقول لك: قال المسيح كذا وكذا.. هذه أوامر، ينبغى أن تطاع. بل هناك من يعتبرون أن أقوال الرسل أيضاً أوامر ينبغى أن تطاع بالكامل.

وهناك من أضافوا إلى مثل هذه الأقوال، شرائع وشروحات شفوية -كما سبق أن شرحنا- لاستكمال الشريعة المسيحية.

وصف أحدهم الموعظة على الجبل، علي أنها "قوانين ملكوت السماوات". وهذه التسمية تتعارض كلية مع روح المسيح، وفكره، ومبادئه.

لا شريعة فى المسيحية. أقوال المسيح وأعماله ليست شرائع، ولم يقصد المسيح بها أن تكون شريعة ما. فلا شريعة فى المسيحية. لا مكان فى المسيحية لقيم جامدة للحلال والحرام. لا إفتاء فى المسيحية.

حاول البعض اعتبار أن - العهد القديم -بكل شرائعه قائم. ولكنهم اصطدموا بأن نظم الذبائح غير قائمة، والشرائع القانونية غير قائمة، وشرائع الصحة لا مكان لها. فالتعليم الصحى متوفر، ولا يحتاج الدين إلى وضع نظم صحية، كما كان الحال فى العهد القديم.

وحتى بعض القيم والمبادىء العامة، لا ترتبط بالمجتمع المعاصر فى

جوانب عديدة منها. فقيمة العهد القديم أنه يمهد الطريق إلى المسيح. كما أنه الخلفية الأساسية التى يبنى عليها الإيمان المسيحى.

من هذا صار واضحاً أن الإيمان المسيحى ليس شريعة، ولن يكون شريعة جامدة. ونحن فى الصفحات التالية نحاول أن نشرح كيف أن المسيحية إيمان بلا شريعة، وأن هذا الوضع أفضل جداً لمضمون الإيمان.

تنوع المبادىء التي تركها السيد المسيح

بمقارنة بسيطة بين تصرفات المسيح فى مواقف متنوعة، وأقواله فى مناسبات متعددة، نجد تنوعاً بين هذه الأفكار. وقد قصد المسيح هذا التنوع. فالتعددية -كما سبق الشرح- هى الأسلوب الذي اتجه إليه السيد المسيح، ودعّمه. إلا أنه برغم التنوع، فهناك اتجاه فكرى واضح، فى أسلوب حياة المسيح، أقواله، وأعماله.

ونحن نسوق بعض الأمثلة، من الأناجيل، التى تكشف لنا اتجاه السيد المسيح الفكرى:

قال السيد المسيح: "من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر أيضاً" (مت٥:٣٩). ولكن السيد المسيح -فى وقت المحاكمة- لطمه واحد من الخدم، ولم يحول له المسيح الآخر، بل نظر إليه المسيح وسأله: "لماذا تضربنى؟" (يو١٨:٢٣). معنى ذلك، أن المسيح وافق على نظريتين، إحداهما أن الإنسان -فى موقف معين- يتسامح مع من يسىء إليه، والأخرى: إنه فى موقف آخر -يحاسب من يسىء إليه. فالموقفان صحيحان

ومناسبان.

قال السيد المسيح: "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس" (مت٦: ٣١). وقال أيضاً: "من منكم، وهو يريد أن يبنى برجاً، لا يجلس أولاً، ويحسب النفقة، هل عنده ما يلزم لكماله؟ لئلا يصنع الأساس ولايقدر أن يكمل" (لو١٤: ٢٨). والواضح هنا أن المسيح لا يريدنا أن نقلق ونتزعج، وفى نفس الوقت يريدنا أن نجلس أولاً ونحسب النفقة، فمتى لزم التخطيط المبكر، كان لابد من ذلك.

نكتشف هذا المعنى أيضاً، من قصة المسيح عن العذارى الحكيمات والجاهلات، فالحكيمات أعددن أنفسهن مقدماً، والجاهلات لم يقمن بالاستعداد المسبق. مدح المسيح الاستعداد المسبق لحضور حفل الزفاف.

والواضح من حديث المسيح أنه يدعو للتخطيط المسبق، دون قلق أو ارتباك. فإن رعاية الله لنا، تدفعنا إلى الاطمئنان، إلا أن هذا لايعنى أننا لا نستعد للمستقبل الاستعداد الكافى.

قال السيد المسيح:" لا تهتموا، قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس.. اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم" (مت٦: ٣١-٣٣). ثم قال: "لا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفى اليوم شره" (مت٦: ٣٤). لكن المسيح، فى بستان جثيمانى، حزن واكتأب، وقال لهم "نفسى حزينة جداً حتى الموت" (مت٢٦: ٣٧و ٣٨)، ثم صلى المسيح قائلاً: "يا أبتاه، إن أمكن، فلتعبر عنى هذه الكأس" (مت٢٦: ٣٩). فالمسيح الذى أوصى أننا لا نهتم، اهتم هو، وقلق، واكتأب

فأى الوصيتين تناسبنا؟ الوضع الذى يريده المسيح، أننا نهتم متى كان هذا مناسباً، وأننا لا نقلق متى كان هذا مقبولاً. وفى الحالتين نحن أصحاب القرار.

وقال السيد المسيح: "لا تقاوموا الشر" (مت٥:٣٩). ولكن المسيح عندما دخل إلى هيكل أورشليم، بعد الدخول الانتصارى، لم يحتمل ما يحدث، فقاوم الشر، واستخدم وسيلة العنف. حيث "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، وكراسى باعة الحمام" (مت٢١:١٢). يتضح من هذا الأسلوب أن الوصية هى عدم مقاومة الشر فى الأوقات التى تناسب ذلك، ومقاومة الشر فى الأوقات التى تتطلب ذلك.

وقال السيد المسيح: "طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون" (مت٥:٩). ثم قال المسيح عن نفسه: "لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض... ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً. فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنَّة ضد حماتها" (مت١٠:٣٤و٣٥). فما هو أسلوب المسيح؟ صنع السلام، أو إلقاء السيف؟ صنع المحبة، أو صنع الخصام؟ والمعنى المقصود هنا، هو أن السلام متطلب بعض الأوقات والعصور، والسيف التزام بعض الأوقات الأخرى.

فصنع السلام، وعدم مقاومة الشر لون من ألوان السلوك، كما أن مقاومة الشر، واستخدام القوة ضد انتشار الفساد أسلوب آخر... وكلاهما حسن.

قال السيد المسيح: "من قال لأخيه رقا، يكون مستوجب المجمع، ومن

قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت٥:٢٢). وعندما أراد هيرودس أن يقتل المسيح، وأبلغه بعض الفريسيين بذلك، قال المسيح لهم: "قولوا لهذا الثعلب" (لو١٣:٣٢). وتحدث المسيح بمثل عن ذلك الغنى الذى وجد متعة لنفسه، ليأكل ويشرب لسنوات عديدة، فقال له الله "يا غبى. هذه الليلة تطلب نفسك منك" (لو١٢:١٧-٢١). ومعنى ذلك، أن التغييرات المختلفة التى تصف الأفراد، يمكننا استخدامها متى لزم.

من هذا نرى أن المسيح لم يحدد شريعة معينة، لكنه وضع مواصفات، تسمح لنا بالتصرف فى مواقف متباينة حسب الظروف المتاحة.

ليس من حق أحد، أن يأخذ جانباً واحداً ويعمل منه شريعة، ويتحدث عنه، كما لو كان أمراً من الله، يلزم طاعته. فالواضح أن المسيح من أسلوب حديثه -أو أعماله- وضع خطوطاً متعددة، ترسم كيف يمكن للإنسان -أو الجماعة- أن يختار طريق تجاوبه أمام المواقف.

وصايا المسيح لا يمكن تحويلها إلي شرائع

ومن أقوال المسيح ما لا يصلح أن يكون شريعة. فقوله: "إن كل من ينظر إلى امرأة، ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت٥:٢٧و ٢٨). فمثل هذه الوصية ، لا يمكن أن تكون شريعة. والحكم الحقيقى هو الإنسان نفسه. والواقع الذى أراده المسيح، هو أن الرجل يزنى، كما أن المرأة تزنى. وإن كانت مجُرد النظرة شهوة، فمن ذا الذى لا يزنى. والواقع أن الإنسان يحتاج لنعمة الله.

ولا شك، أن المسيح لم يرد أن يمنع الرجال من أن ينظروا للنساء. فالمسيح التقى بالنساء، وتعامل معهن. وكانت علاقة تلميذات المسيح، علاقة مستمرة مع تلاميذه. فلم يكن هذا مقصوداً.

وقول المسيح للغني: "بع كل مالك، واعط للفقراء" (مت١٩:١٦-٢٢)، لا يمكن أن يكون شريعة. فالعطاء هنا يرجع إلى الإنسان نفسه. فلا حكم يمكن أن ينشأ من هذا القول. فى العهد القديم وضعت شريعة للعشور، لكن العهد الجديد لا يضع نظاماً محدداً للعشور.

فالعطاء فى العهد الجديد، نابع من قلب محب مخلص، يعطى بسخاء، لأنه يحب أن يعطى. وليس الاتجاه فى العهد الجديد أن العطاء يرتبط بشريعة محددة.

وقد رد السيد المسيح الشرائع إلى أصولها وجذورها. وهذه وصايا ترتبط بباطن الإنسان وأعماق فكره. وهى أمور غير قابلة للقياس، ولا يمكن تحديدها بمقاييس بشرية، وبالتالى، لا يمكن أن تكون شرائع. فتحدث المسيح عن الصدقة المخفية، والصلاة فى المخدع، والصوم الذى لا يحس الناس به. كل هذه المقاييس، ليست واضحة أمام الناس، لكنها مكشوفة أمام الله. قال المسيح: أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية.

بل إن قول المسيح لبطرس أن يغفر لأخيه سبع مرات سبعين مرة (مت١٨:١٧-٢٢)، لا يمكن تطبيقه بشريعة. فالغفران للآخرين هو عطاء القلب المحب.

وفى قول السيد المسيح: "من يغضب على أخيه باطلاً، يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت٥: ٢١و٢٢). هذا القول غير قابل للتشريع، لأنه غير قابل للقياس.

وقال المسيح: "أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم؛ (مت٥: ٤٤). هذه قيم أيضاً غير قابلة للتشريع، لأنها غير قابلة للقياس. يضاف إلى ذلك، أن حب الإنسان، لا يتم بالتشريع، بل بالرغبة الصادقة من داخل الإنسان.

فالإيمان المسيحى، يرتبط بسلوك، تنبع دوافعه من داخل الإنسان. هذا الإيمان، لا يمكن أن يرتبط بشريعة حرفية، ولكنه يتعلق باختبارات الإنسان فى مواقف الحياة المتنوعة. فالمبادىء التى نادى بها المسيح، أساساً للسلوك الفردى، أو الجماعى، لا يمكن أن تكون -فى حد ذاتها- قوانين تحكم الإنسان.

لا شريعة في المسيحية

من هذه المقارنات الروحية، نكتشف الحقائق التالية:

(١) لن تكون المسيحية "شريعة" تطاع، ثم يطبق عقابها [٩٦]

فالمسيحية مبادىء وقيم، أعلنها المسيح، ونحن نأخذ من هذه القيم، لنطبقها على المواقف التى نواجهها.

---

(٩٦) Goodspeed . A life of jesus p. 81

وقد نختار فى موقف عكس ما نختار فى موقف آخر، فى ضوء الظروف المتاحة، وفى ضوء تعليم السيد.

(٢) الموعظة على الجبل، وأقوال السيد المسيح، وأعماله لا تنظم شريعة، ولن تكون شريعة. ولك ما جاء فى أقوال المسيح، نماذج، لا يجوز مطلقاً تحويلها إلى شرائع. فبعضها غير قابل للقياس، وبالتالى، فما يقبل القياس ينطبق عليه نفس النظام. فأقوال المسيح وأعماله لها إطار واحد، ولم يقصد منها المسيح إلا أن تكون مُثُلاً ونماذج.

(٣) الحكم فى كل موقف، حكم فردى إن كان يرتبط بفرد، وحكم جماعى، إن كان يرتبط بجماعة. ولهذا الفرد، أو الجماعة الحكم الذى يروقه فى ضوء تعاليم وروح الكتاب، من ضمير حر، يتحسس فهمه لما يريده الله.

(٤) لا سلطان لأحد أن يحكم على غيره. فالحكم لله وحده. أما الذين سمحوا لأنفسهم بأن يجلسوا على كرسى موسى ليحكموا على غيرهم، فالأولى بهم أن يحكموا على أنفسهم فقط. فالذين يحكمون على أنفسهم، ينبغى لهم الحذر: فهل أحكامهم نتيجة غرورهم وتعاليهم، أو نتيجة حقدهم وكراهيتهم، أو نتيجة كل هذا مجتمعاً معاً؟

لم يحكم المسيح على أحد، حتى الصدوقيون الذين اختلف مع أفكارهم ومعتقداتهم، لم يكفرهم. وكان يريد منهم سلوكاً يتفق مع كونهم كهنة الشعب.

تحتاج الأوساط "التقوية" أن تتحرر من استخدام غرورهم الدينى كوسيلة للتشويه، ونشر الشائعات، ضد من لا يستريحون إليهم أو من يحقدون عليهم. لتتحرر المجتمعات "التقوية" من كبرياء الحكم على الآخرين، والإساءة إليهم، بدعوى "التقوى" الزائفة.

(٥) يعامل الله الإنسان ككل. فالله لا يعامل الفرد على كل تصرف على حدة. فمعاملة الله للإنسان، هى رؤية الله الشاملة للإنسان، وإخلاصه. فلا يعامل الله الفرد على خطأ مفرد، ما دام الإنسان مخلصاً فى إيمانه وحياته مع الله.

فمعاملة الله للإنسان ليست بأسلوب الشرطى[٩٧]، الذي يتطلع للإنسان، لعله يكتشف غلطة ما، ثم ينفذ عقابه فيه. أسلوب الله، ليس كذلك. فالله يعرف الإنسان، ويعرف ضعفاته. وغفران الله للإنسان سابق، حتى لتوبة الإنسان عما فعل.

(٦) لم يفرض السيد المسيح نظاماً جماعياً على المؤمنين به، خارج نطاق قيم المحبة، والحق، والعدالة. ولم يوصي بعمل جماعى، يُفرض على أتباعه، فإن قصّر واحد يعاقب. فلم يكن هذا أسلوب المسيح. ومتى أرادت جماعة ما، اتخاذ أسلوب جماعى فى أى موضوع يتفقون عليه، فلكل واحد بحريته الشخصية أن يتبع رأى الجماعة.

(٧) لا يجوز لفرد أياً كان ولا لجماعة أياً كانت، أن تدّعى أنها تمتلك

---

(٩٧) Phillips : Your God is too small P.9

الله لذاتها[٩٨]، وأنها وحدها تعرف الحق الإلهى النهائى، وأن معرفتها هى الوحيدة، وأن كل من هم عداها جهلة.

لا تقدر جماعة ما أن تضع الله فى صندوق يحتوى فكرها وحده[٩٩]. فالله أعظم من كل البشرية، ومن كل البشر. لا تقدر جماعة ما، أن تشكِّل الله لصالحها [١٠٠].

يكفى الإنسان أن يتواضع أمام الله، ويترك مالله لله، فلا يتعالى عن قدرته البشرية المحدودة.

(٨) الإنجيل، ليس شريعة، بل رسالة فرح، وخلاص وانتصار. فهو رسالة لكل البشرية لأنهم خطاة. خاصة لأولئك الذين يعانون من الفقر والظلم والشر والألم. ولا يجوز لنا أن نهتم بجانب ونترك الآخر.

(٩) التقيد الحرفى المفرط بالقانون (Legalism)، لم يخلص أحداً، ولم ينجح فى حماية أحد. فالنعمة الإلهية وحدها هى العون للبشرية. وتقدم الإنسان، وبالتالى تقدم البشرية، يرتبط بنعمة الله وحدها.

ومن نعم الله على الإنسان تقدم العلم. فقد سمح الله للإنسان، أن يتقدم بالعلم، وسوف يتقدم به أكثر. وكلما تقدم العلم، كان وسيلة يستخدمها الإنسان، لتقدم البشرية، والمسكونة بأسرها.

---

(٩٨) المرجع السابق. ص٤٢

(٩٩) المرجع السابق. ص٣٧

(١٠٠) المرجع السابق. ص٤٣

اتجاه المسيح يرسم الطريق الذي نسير فيه .

المواقع التى واجهها المسيح، كانت تتصف بالمجتمع الريفي، أو الحضري، فى فلسطين فى عصره. ونحن اليوم، نواجه واقعاً، يختلف كلية عن مجتمع فلسطين القديم. فالتقدم العلمى سريع، والعلاقات بين الدول ترسم التطور الهائل والسريع فى كافة جوانب الحياة. والطفل اليوم - منذ أن يولد - يجد الحياة أمامه، تختلف كلية عن الحياة التى نعرفها - مثلاً- منذ خمسين عاماً.

فكيف نتصرف ونحن نواجه الحياة بما فيها من مشكلات معاصرة؟ فالمخدرات تنتشر، والتطرف العنيف يسود، وقد لا نجد في الكتاب المقدس ما يحدد حرفياً كيفية مواجهة هذه المشكلات وغيرها.

لذا، قلنا إنه لا شريعة. فمن روح السيد المسيح، واتجاهه، نستنبط الطريق الذى يرسم قيم السلوك فى الحياة اليوم.

فمن أسلوب السيد المسيح نرى عطفه على الفقراء، مما يرسم لنا اتجاهاً هو الاهتمام بالفقراء. فاهتمامنا بهؤلاء، لا يشترط نفس الطريقة التى كانت فى عصر المسيح، بل لنا أن نستخدم أحدث أساليب العلم لكى نطبق ذلك.

ومن اتجاه السيد المسيح، نرى اهتمامه، بأن يكون المجتمع مشتركاً، من رجال ونساء، يعيشون حياتهم دون تفرقة. ونرى اهتمامه بالمرأة، ودورها. ونحن لا نرتبط بنفس التطبيقات التى كانت أيام المسيح. فالمرأة اليوم لها حرية أكثر مما كانت عليه في عصر المسيح. والمجتمع اليوم مجتمع مشترك،

حيث تعمل المرأة كالرجل فى الوظائف وغيرها. فرؤيتنا اليوم، هى أن نسير فى الاتجاه الذى رسمه لنا السيد المسيح، أى بإعطاء حرية أكثر للمرأة، ودفع المجتمع أن يعمل معاً. والأساليب التى نستخدمها اليوم ترتبط بالحاضر، وبالمجتمع الذى نعيش فيه.

وهكذا، نرى أننا نسير فى "الاتجاه" الذى رسمه السيد المسيح، بأسلوب العصر الحاضر، وبالإمكانيات المتاحة لنا علمياً فى مجتمعنا.

فما هي الحدود ؟

يقول قائل: إن هذا يعطى فرصة للتسيب أو الإهمال، والخطأ. فالحرية لها ميزات عديدة، وكثيرون يستخدمون الحرية فرصة للجسد. فهل هناك حدود ؟ هل هناك ضوابط؟ وما هى؟

ترتبط قيم المسيحية بالمحبة والعدالة والحق، أسساً رئيسية فى كل ما يحدث، وما يتم اختياره من قيم سلوكية. فهذه القيم الأساسية، تعتبر مقياساً عاماً، لكل ما يتضمنه العمل الإنسانى الفردى والجماعى. ومن هذا تكون القيم العامة هى الدليل، أما الأمور الفرعية المحدودة، فهى القيم التى تتم فيها الاختيارات الفردية.

هذا الدليل العام يمثل جوانب التحرك أو الانضباط، فى السلوك اليومى.

علينا أن لا نخشى أن يُفلت الزمام، فالضابط الحقيقى، هو ضمير الإنسان -أو ضمير الجماعة- أمام الله. الشريعة -وحدها- ليست حُكما على الإنسان وأعماله.

لا يجوز لنا أن نحكم على الغير، ولا أن ندين الغير. فالله - وحده - هو الذى يدين. وكل إنسان يتصرف من نبع إرادته الحرة، وهى التى تحكم عليه.

وحتى الذين يطلبون الإرشاد والتوجيه، فنحن نعاونهم، على أن يعرفوا، أن رأى الواحد منا ليس شريعة تُطاع، وليس أمراً ينفَّذ، فلمن يستمع إلى التوجيه أن يقرر لنفسه ما يريد أن يعمله.

المسيح أعظم من الهيكل

قال السيد المسيح: "إن ههنا أعظم من الهيكل" (مت١٢:٦)، وكان يتحدث عن نفسه. فالهيكل بالنسبة لليهود، هو مركز العبادة. المكان الذى يحل الله فيه بمجده. فالمسيح، نفسه هو هيكل العهد الجديد، بكل مجده، وجلاله. هو الكلمة المتجسد. هو أعظم من الهيكل، ،وبالتالى، **فهو أعظم من الشريعة. لم يرد أن يكون زعيماً، بل جاء خادماً.**

ووضع نفسه، ليكون فى خدمة الإنسان، ومن أجل الإنسان. أشبع الجياع (يو٦:١٣)، **شفى الأعمى** (يو٩:٦)، **شفى المرضى** (مت٩:٣٥)، **تحنن على الجموع** (مت٩:٣٦)، **اهتم بالفقراء والمظلومين والمهمشين والذين لا مأوى لهم... اهتم بالجدع والعرج والعمى والمساكين** (لو١٤:١٦-٢٣)، **اهتم بالمريض الذى لم يهتم به أحد** (يو٥:١-٩).

قال عن نفسه: "أنا هو الباب، إن دخل أحد، فيخلص، ويدخل ويخرج، ويجد مرعى (يو. ١٠:٥). وقال: "أنا هو الراعى الصالح، وأعرف خاصتى،

وخاصتي تعرفني" (يو. ١٠:١٤). ووصف إرساليته: "وأما أنا فقد أتيت، لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل" (يو. ١٠:١٠).

شارك السيد المسيح المجتمع، بذل كل الجهد لتحرير الفقيّر، والخاطيء والمرأة. واهتم بنشر السلام، فى قوله: "سلاماً أترك لكم، سلامى أعطيكم، ليس كما يعطيكم العالم أعطيكم أنا" (يو١٤:٢٧).

قدم لنا تعاليم جديدة. كان أول من استعمل لقب "أب" عن الله، فجعل الله قريباً من الإنسان وليس بعيداً عنه. بعض تعاليمه جديد كلية، مثل : "لا تقاوموا الشر" (مت٥:٣٩) "أريد رحمة لا ذبيحة" (مت٩:١٣)، "إن أرادأحد أن يأتى ورائى، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني" (لو٩:٢٣) "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥:١٣)، "ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (لو٥:٣٢).

عندما تعامل السيد المسيح مع الهيكل تصرف على أنه رب الهيكل، وعندما جلس مع الشعب، كان يتحدث كقائد المسيرة، وعندما جلس مع التلاميذ، كان المعلم والمربى، وعندما تحدث مع الفريسيين والكتبة كان يتحدث بسلطان، ليس كسلطان الكتبة، وعندما كان يغفر الخطايا، كان يمارس سلطاناً، لم يعتد البشر عليه.

هذا هو يسوع، أمساً، واليوم، وإلى الأبد. رجاء الحاضر والمستقبل، للناس وللبشرية كلها. باسمه قامت ثورات، وباسمه تحرر كثيرون من الاستعمار، وباسمه نودى بالحرية والديمقراطية فى كل شعوب العالم.

باسمه تحرر أناس من مآسى التفرقة العنصرية، وباسمه تحرر كثيرون من شرور العالم والخطية. فهو الكرمة التى تجمع الأغصان، وهو الدجاجة التى تجمع فراخها تحت جناحيها، وهو الراعى الصالح الذى يبحث عن الضال حتى يجده، والذى يضع نفسه من أجل أحبائه.

إنه يسوع الذى اهتم بالفقير، والأعمى، والجائع، كما اهتم بالفيلسوف والمعلم. وهو الذى تألم من أجل الجميع، حباً لا محدود. فهو لم يأتِ ليدين، بل ليخلص.

Bibliography

Ainger, Geoffery. **Jesus Our Contemporary**. N.Y.: The Seabury Press, 1967

Barclay, William. **Crucified and Crowned**. London: SCM Press, Ltd., 1963

Barclay, William. **The Mind of Jesus**. London: SCM Press Ltd., 1960. 4th ed

Cunanan. Jose P.M, **Jesus the Organizer**. Hong Kong: **Christian Conference** of asia. Urban Rural mission. URM Series 5,1994

Edersheim, Alfred. **Sketches of Jewish Social Life in the days of Christ**. Michigan: Eerdmans Pub. Co., 1984.

Edersheim, Alfred. **The Life and Times of Jesus the Messiah**. Grand Rapids: Eerdmans Pub. Co., 1947 Vol. 1

Fosdick, Harry Emerson. **The Man From Nazareth as His Contemporaries Saw Him.** N.Y.: Harper & Brothers, 1949.

Goodspead, Edgar J. **A Life of Jesus**. N.Y.: Harper & Brothers Publishers, 1950.

Guthrie, Donald. **Jesus the Messiah**. Grand Rapids: Zondervan Pub. House, 1972.

Lietzmann, Hans. **The Gospel Portrait of Jesus**. A Chapter **in Contemporary Thinking About Jesus**, By Thomas S. Kepler, ed. N.Y.: Abingdon, 1944. PP.186-194

Moltmann, Jurgen. **The Way of Jesus Christ**. Christology in Messianic Dimensions. London: SCM Press, 1990.

Pentcost, J. Dwight. **The Word and Works of Jesus Christ**. A Study of the Life of Christ. Grand Rapids: Zondervan Pub.

House, 1981.

Phillips, J.B. **Your God is Too Small.** N.Y.: The Macmillan Co., 1958.

Robinson, Benjamin W. **The Ethical Teachings of Jesus.** A Chapter in Contemporary Thinking About Jesus, by Thomas S. Kepler. ed. N.Y.: Abingdon, 1944. PP. 274-284.

Roetzal, Calvin J. **The World that Shaped the New Testament.** London: SCM Press Ltd., 1987.

Schwenzer, Edward. **Jesus.** London: SCM Press Ltd., 1971.

Veatherhead, Leslie D. **His Life & Ours.** The Significance or us of the Life of Jesus. London: Hodder 2 Stonghton, Ltd., 1933.

Weber, Hans -Ruedi. **Jesus and the Children.** Biblical Resources for Study & Preaching. Geneva: World Council Of Churches, 1979. 2nd ed.



انشغل حيتما بشخص المسيح
وقد استحوذ على التفكير "لاهوت
المسيح" أكثر من إنسانيته، ورغم
أهمية لاهوت المسيح، إلا أن
إنسانيته لها أهمية مماثلة. فكلما
تحدثنا عن إنسانيته أعطينا
بأهمية للإنسان، ومكانته، ودوره،
بل إن قضية إنسانية المسيح، تعبر
عن معان عميقة، منها تصالح
الله مع الإنسان، فقضية التجسد
تشعرنا الله أباً للبشرية، فهو
قريب من البشر...

[illegible]



١٠١٠٠٢٢